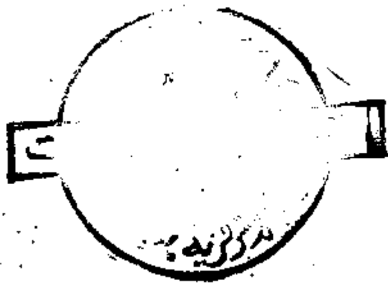
المملكة العربية السعودية



٥

ابن شهيد الأندلسي وجهوده في النقد الأدبي

إعداد

عبد الله سالم المعطاني



رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

من جامعة الملك عبد العزيز - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

بمكة المكرمة - قسم الدراسات العليا العربية (فرع الأدب)



إشراف

الدكتور عبد الحليم حسنين عيسى

١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

" فهرس الموضوعـــات "

=======

++++

(مقدمـــة)

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آلـه وصحبه اجمعـين ومن دعا بدعوته الى يوم الدين .

لم يحظ التراث العربى فى الاندلس بما يستحقـه من البحث والدراســة فلا نعدو الحقيقه اذا قلنا ان هذا الجانب من ادبنا العربى لاقى من الاهمـال الشىء الكثير على الرغم انه تراث جدير بالبحث والابراز .

وارتباطى بالادب الاندلسى كان منذ دراستى المنهجية فى الجامعة فقد كانـت له مادة اساسيـة من مواد الدراسة ثم وجدت فى نفسى ميلا شديدا اليه لا سيمـا وان اساتذتنا الكرام كانوا يبثون فينا روح الاندفاع الى البحث فى هذا المجال .

فاستعنت بالله اولا ثم طفقت اتصفح الدراسات القديمة والحديثة التى كتبـت عن هذا الجانب من التراث كى انطلق من خلالها الى موضوع يستحق البحث والدراسـة فصادفنى قول جليل من مؤلف قدير وهو الاستاذ احمد ضيف فى كتابه " بلاغـة العرب فى الاندلس "(١) حينما تحدث عن ابن شهيد فقال : " ان واحدا مـن الادباء الذين تكلموا عن ابى عامر بن شهيد لم يذكروا له غير : شعره الرقيـق ، واسلوبه الرشيق ومجونه الكثير وادبه الوفير ... الخ .
ان ابن شهيد من افذاذ الادباء المفكرين الذين انجبتهم حركة العقول والادراك فى الاندلس . "

فكان هذا القول بمثابـة الشرارة التى اضاءت امامى الطريق الى البحث فأخـذت اقرأ قراءة جادة حول الموضوع كى أكون فكرة سليمة عنه فوجدت ان ابن شـهيد

---

(١) الاستاذ احمد ضيف ، بلاغة العرب فى الاندلس ، القاهرة ١٣٤٢ ص ٥٩

من النقاد الذين يستحقون الدراسة اضافة الى انه كان من الرواد الأوائل في بناء منهج نقدى واضح للادب الاندلسى •

ومن هذا المنطلق سرت فى البحث مستعينا بالله فى تقصى الحقائق واوجه الصواب•

وقد واجهتنى بعض الصعوبات التى كانت ناتجة عما يلى :

١ـ شحة المصادر والمراجع فى هذا الجانب وصعوبة الحصول عليها لأنه كما وضحنا سابقا فى حكم المهمل ولكن على الرغم من ذلك بذلت ما فى وسعى من جهد حتى احطت بجميع الكتب التى لها صلة بهذا الموضوع •

٢ـ التهم التى وجهت الى ابن شهيد قديما وحديثا اما لدافع شخصى كالحقد والحسد او لسوء فهم اقوال ابن شهيد مما دعانى الى التثبت والتروى وتحرى الحقيقة فى نفى او اثبات تلك التهم •

٣ـ ارتياد ابن شهيد بعض القضايا النقدية الجديدة على النقد العربى والتى تحتاج الى مقارنة وادلة من الكتب القديمة والحديثة مما حدا بى الى القراءة الجادة فى كتب النقد واستخلاص النتائج التى لها علاقة بذلك• ولذلك فان هذا الموضوع جديد وجدير بالبحث والدراسه•

وقد مهدت له بحالة النقد الادبى فى الاندلس قبل ابن شهيد فبينت انه لم يكن هناك نقد منهجى مبنى على دراسة منظمة قبل ابن شهيد •

ثم قسمت البحث الى ثلاثة ابواب الأول منها ويضم فصلين اولهما يتكلم عن

ابن شهيد : نسبه ، حياته ، شيوخه ، آثاره ، مقومات شخصيته ، ثم علته ووفاته . والفصل الثانى يوضح مكانته العلمية فى نظر النقاد القدماء والمحدثين وتعليقى على تلك الأقوال بما رأيته مناسبا .

اما الباب الثانى : فيتحدث عن نقد ابن شهيد لتلك القضايا التقليديه القديمه والتى ترددت فى كتب النقد فقارنت اقواله باقوال من سبقه من النقاد موضحا ما وافقهم فيه وما لم يوافقهم . ويضم هذا الباب ثلاثة فصول الأول ويتناول الشعر فى نقد ابن شهيد ، والثانى يتحدث عن الشاعر فى نقد ابن شهيد ، اما الثالث فهو ثقافة الناقد الادبى .

الباب الثالث : وهو اهم الأبواب واكثرها دقه لأنه يتناول الجديد فى نقد ابن شهيد ويحتوى على فصلين الأول منهما نظره الى القضيه النقدية المعروفه نظرة جديدة تختلف عمن سبقه من النقاد . اما الفصل الثانى فيحتوى على قضايا كان لابن شهيد فضل الابداع فيها وارتيادها متميزا بذلك عن غيره من النقاد .

وأرجو من الله العلى القدير ان اكون قد وفقت فى اخراج هذا البحث بصورة مقبولة تلقى الضوء على شخصية ابن شهيد ونقده وان اكون ممن تشرفوا بخدمة هذا التراث الجليل .

ولايسعني اخيرا الا ان اشكر سعادة المشرف على الرسالة الدكتور/ عبد الحكيم حسان عمر شكر امتنان وعرفان لأنه وهبني من وقته الشيء الكثير فارجو من الله جل وعلا ان ينال ثوابه منه انه سميع مجيب . وان يلهمنا الصواب في جميع اعمالنا فهو على كل شيء قدير . ؟

عبد الله سالم المعطاني
مكه المكرمه

(تمهيــــــد)

النقد الأدبي في الاندلس قبل ابن شهيـــد

ان الفترة الحقيقيــة لنهضــة الادب في الاندلس تبتدئ ببدايــة الحكم الاموى اى في عهــد عبدالرحمن الداخل سنة ١٣٨ هـ (٧٥٥م) وذلك ان كثيرا من انصـــار الامويين لاذوابهم في اقليم الاندلس اما رهبة من العباسيين الذين تسلمـوا الخلافـة في المشرق أو رغبـة في ملازمـة اشياعهم الأمويين • وكان اكثر هؤلاء الوافديـــن على درجـة كبيرة من الثقافــة فأثروا فـى غيرهم مما ساعد على نشاط الحيــاة الثقافيــه والدفع بعجلتها الى الامام•

وهناك ناحيــة اخرى كان لها دورها الفعال في الثقافــة الاندلسيــة وهي تلــك الوفود التي ذهبت لتلقى العلم في المشرق او للحج او للزيارة ثم عاد أفرادهـــا ينقلون ما لديهم من علوم ومعــارف الى سكان تلك الجزيرة ومن هذا يتبـين لنـــا ان الثقافــة العربيه فـى الاندلس كانت في بدايتها تعتمد اعتمادا كليـا علــى المشرق ولم تستقـل الأندلس بشخصيتها الثقافيــة وخاصة في مجال الادب الا بعــد زمن ليس بقصـير وهذا ما اثار اعجــاب الصاحب ابن عباد حينمـا قرأ كتاب " المقــد الفريد " لابن عبد ربه فقال : " هذه بضاعتنا ردت الينا "(١) • وقال ابـــن بسـام:(٢) " ان اهل هذا الأفق ابوا الا متابعة اهــل المشــرق ، يرجعون الـى اخبارهــم المعتادة ، رجوع الحديث الى قتادة ، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أوطن بأقصــى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما ، وتلوا ذلك كتابا محكمــا • "

---

(١) شوقي ضيف • ابن زيدون " دار المعارف بمصر ط ٣ " ص ١٢
(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢ •

وقد حفظت لنا المصادر بعض القصائد التى تروى عن عبدالرحمن الداخل (١) وخاصة فى الحنين ومنها قصيدته المشهورة فى مناجاة النخلة .

(٢) ومن شعراء هذه الفترة ايضا ابو المخشى الذى سمل عينيه هشام بن عبدالرحمن الداخل وكان شاعرا مجيدا وكذلك الحكم بن هشام الذى عرف بالتحرر والميل الى اللهو مما اثار عليه سخط الفقهاء وكان اديبا بارعا اجاد فى الشعر والنثر . الى غير هؤلاء من الشعراء والكتاب الذين تحدثت عنهم مصادر الأدب فى الأندلس.

واذا كان الادب الاندلسى فى بدايته قد اعتمد على ادب اهل المشرق فان النقد فى اولياته قد أفاد كذلك من الاتجاهات النقدية التى كانت قائمة فى المشرق.

فمن الملاحظ ان النقد فى العصر الاموى ازدهر فى ثلاث بيئات هى الحجاز والعراق والشام . وكان للحياة الاجتماعية والبيئة الطبيعية اثر ملموس فى أدب هذه البيئات ونقدها .

ففى الحجاز كثرت المجالس الغنائيه والأدبية التى يلتقى فيها الشعراء و... المتأدبون مما ادى الى نشاط الحياة الأدبيه فى ذلك الوقت ومن اشهر ناقدى هذه البيئه عبدالله بن ابى عتيق وسكينة بنت الحسين التى كانت تجمع الادباء

---

(١) انظر ابن عذارى المراكشى " البيان المغرب " دار الثقافه بيروت تحقيق ج ـس ـ كولن وليفى بروفنسال جـ ٢ صـ ٦٠

(٢) انظر ترجمته فى ابن سعيد. المغرب جـ ٢ ص ١٢٣

فى بيتها يسمعون الطرب ويخوضون فى المناقشات والمناظرات ، وقد روى عن ابن ابى عتيق بعض النقدات اللطيفه كقوله عن عمر بن ابى ربيعة (١) " ما عصى الله عز وجل بشعر اكثر مما عصى بشعر ابن ابى ربيعة ٠ "

اما فى العراق فقد استعاد العرب ذكريات سوق عكاظ بسوقى المربد والكناسه التى كان يحضرها الناس للاستماع الى جرير والفرزدق والأخطل الذين اغنوا الأدب العربى بتلك النقائض الجميله والتى تبين مقدرة كل منهم وطول باعه ، وما أكثر الروايات والقصص التى تروى فى كتب الادب العربى عن هؤلاء الشعراء الذين شغلوا الناس فى فترة من الفترات الى الحد الذى اشترك فى تفضيل احدهم على الآخر الخلفاء انفسهم امثال عبدالملك بن مروان وغيره ٠ وكل ذلك بلا شك يكوّن احكاما نقدية فى مكانة الشاعر من قوة او ضعف ٠

وفى الشام نرى شعر المديح قد طغى على غيره من الاغراض لمكانة دمشق من الخلافة وقد لون هذا الادب (٢) " بلون المديح ولوّن النقد بلون الأدب " وخير من نقد هذا اللون الخليفه الأموى عبدالملك ابن مروان الذى نقد بعض قصائد جرير وعبدالله بن قيس الرقيات وغيرهما ٠ فاذا وصلنا الى العصر العباسى نرى ان الحضارة العربية بلغت اوج مجدها فعم الرخاء ومال الناس الى حياة الترف واتصل العرب بغيرهم من الأمم عن طريق الترجمه التى نشطت فى ذلك الوقت ، وأصبح الذوق الفطرى فى حكم المعدوم وحل محله الذوق الثقافى ٠ كذلك أصبح

---

(١) الدكتور محمد رضوان الدايه تاريخ النقد الادبى فى الاندلس " دار الانوار بيروت ط ١ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م " ص ٢٣٥

(٢) احمد امين ٠ النقد الادبى " دار الكتاب العربى بيروت ط ٤ ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ص ٤٦٤ ٠

النقد يأخذ مادته من عدة روافد : اولا : الشعراء والكتاب امثال بشار بن بـــرد وابى نواس وابى تمام وعبدالله بن المعتز وغيرهم ، ثانيا : نقد اللغويين الذيـــن جمعوا ما باستطاعتهم جمعه من اللغـــة والشعر والاخبار فدونوا ذلك فى مؤلفـــــات عديدة وكانت لهم بعض الملاحظات النقديـــه المهمه ومن امثال هؤلاء ابو عمـرو بـــن العلاء والاصمعى وابن سلام وغيرهم ، ثالثا : المتكلمون الذين اهتموا " بمسائـــل البيان والبلاغة لاتصالها بما كانوا ينهضون به من الخطابة والمناظره "(١)

وفى نهاية القرن الثالث وبدايـــة القرن الرابع الهجـــرى اتجــه النقد الـــــى المنهجيـــة والمقارنه وكان لانقسام النقاد فى تفضيل ابى تمام على البحترى والعكـــس اثر كبير فى دفـــع عجلـــة النقد فألف الصولى المتوفى سنة " ٣٣٥هـ" كتابــــه " اخبار ابى تمام " ، ثم ظهر بعد ذلك كتاب " الموازنه " لابى القاســـم الآمـــدى المتوفى سنة " ٣٧٠هـ" ويعد هذا الكتاب من اعظم كتب النقـــــد واجلها .

وجاء المتنبى فملأ الدنيا وشغل الناس وثارت حولـــه خصومات عنيفـــه بعضها فـــى عصره وامتد بعضها الآخـــر الى ما بعد عصره واشهر كتاب الف فى هذا المجـــــال " الوساطـــه " للقاضـــى الجرجانى المتوفى سنة "٣٩٢هـ" .

فكما نرى مر النقد بهذه التطورات حتى تبلور فى شكله الصحيح .

هذه لمامة سريعة عن صورة النقد فى المشرق أهملنا فيها اكثر الأمثلة لا شكـــا فى اهميتها وانما لأننا نريد ان ننفذ من هذه الاشارات العابره الى حالـــة النقـــــد

---

(١) الدكتور شوقى ضيف . البلاغه تطور وتاريخ " دار المعارف بمصر ط ٢ " صـ ٣٢

الادبـى في الاندلس والذى يعد صدى لتلك الاتجاهات التي وجدت عند المشرقيين .

وكما وضحنا سابقا فان النهضة الحقيقية للأدب الأندلسي كانت مع بداية عهد عبدالرحمن الداخل الخليفة الأموى ولذلك فانا لا ننتظر ان تكون هناك اى اشارات نقدية تستحق الذكر قبل هذه الفترة لأن النقد - كما هو معروف - مرحلة ثانية تعتمد على الأدب الذى هو مصدر مادته .

وفى الواقع ان الاندلسيين ميزوا الشعر - وخاصة قبيل عصر الطوائف - بين مذهبين القديم والجديد وكانوا يسمون المذهب الأول مذهب " العرب " والثاني مذهب المحدثين . ويقصدون بالأول " فخامة اللفظ وجزالته والتزام صور العرب وسلكهم في التعبير "(1) وهذا هو معنى قول ابن حزم في شعر جمونة احد شعراء الاندلس : " فهو جار على مذهب الأوائل "(2) ، وقول الزبيدى ان الرباحي - الشاعر الاندلسي - " نظم قصيدة في الرثاء على مذهب العرب "(3) ، وقولهم ايضا ان ابا بكر الزبيدى رثى شيخه القللي البغدادى بقصيدة " جزلة الالفاظ كثيرة الغريب ، صاغها صوغ فحول العرب "(4) .

اما شعر المحدثين فيقصدون به النهج(5) على طريقة ابى نواس وابى تمام وابن المعتز

---

(1) الدكتور رضوان الدايه ص ٢٦٣

(2) الدكتور احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبه " دار الثقافه " بيروت ص ٤٨

(3) الزبيدى . طبقات النحويين واللغويين " القاهره ١٩٥٤م " تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ص ٣٣٩ .

(4) الثعالبي . يتيمة الدهر " مطبعة السعاده مصر ط ٢ ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م " تحقيق محى الدين عبدالحميد جـ ٢ ص ٧١

(5) الدكتور احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبه ص ٤٦ .

وغيرهم وقد نالت هذه النماذج القسط الاكبر من اعجابهم " (٢) " ولتعليل التفات الاندلسيين الى هؤلاء واضرابهم لابد من افتراضات متعددة ، منها أثر الوافدين من المشرق ، وأثر الرحالة والمسافرين من الأندلس الى المشرق من طلاب العلم وشداة الرواية وقصاد الحج وسواهم ، فانهم كانوا يعودون - فيما يعودون به - بدواوين الشعراء الناجحين واشعارهم ، فهي بضاعة جديدة تستدعي التفات النظر . ومن ذلك ان الشعر الاندلسي : بدأ يتكون حين كان الشعر المشرقي يشهد تجديد بشار وأبي نواس ، ويقف على مفترق الطرق بين مذهبي أبي تمام والبحتري . ولما كان سكان الاندلس حينئذ يلتفتون في كل شيء الى المشرق فقد اتخذوا من شعر المشارقة المحدثين مثالا يقلدونه ونورا يهتدون به أي جعلوا الشعر المحدث - لا شعر العرب الاوائل - موروثا لهم ينسجون على منواله ويستوحون ما فيه ... ونتوقع ان يكون صدى الخلاف بين الطائيين في مذهبيهما قد انتقل الى الأندلس ، وان لم يأخذ طابع الحدة الذي شاربها في المشرق . " .

ولكن من الملاحظ ان الحركة النقدية في الأندلس لم تظهر بمثل النشاط الذي ظهرت به في المشرق لأن النقد كان في بدايته ولقلة النقاد الاندلسيين في تلك الفترة .

وكما شغل المتنبي اهل المشرق كذلك شغل اهل الأندلس ايضا ووجد من يتعصب له وكان ابن دراج (٢) يسمى متنبي الاندلسي (٣) .

وشرح بعض الادباء الاندلسيين ديوان المتنبي مثل ابي القاسم بن الافليلي وغيره

---

(١) الدكتور رضوان الدايه ص ٢٦٦

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٤٤

(٣) وقيل ان الذي كان يقارن بالمتنبي من شعراء الأندلس هو ابن هانيء - انظر احمد هيكل . الادب الاندلسي " دار المعارف بمصر ط ٦ ١٩٧١م " ص ٢٣٧

ويقول الدكتور الدايه :(١) " ولم يلبث أن ظهر المصرى ، وانتقل كثير من شعره وكتبه الى الأندلس وبان اثره على الشعراء والكتاب " ولعل فى هذا ما يكفى للبرهنة على ان الاتجاهات النقدية فى المشرق كان لها اثر واضح وملموس فى النقد الاندلسى الذى لم يبدأ فى الاستقلال الا على يد ابن شهيد وابن حزم وخاصة الأول منهما الذى استطاع ان يبنى منهجا نقديا واضحا فى النقد الادبى فى الاندلس.

وعلى اية حال فان اوليّات النقد الادبى فى الاندلس كانت جزئيه تعتمد على الذوق وتلتفت فى اكثر الاحيان الى النحو والصرف واللغة ووضع الكلمة فى موضعها المناسب ومن امثلة ذلك ما يروى(٢) عن جودى النحوى الاندلسى الذى تزود من المشرق وصنف فى النحو ، وكانت له حلقة مشهورة يبث علمه فيها ، وتتدارس فيها الاخبار والاشعار . وفى حلقته انكر على عباس بن ناصح — الشاعر الاندلسى قوله :

يشهد بالاخلاص نونيّها * لله فيها وهو نصرانى

فلحن حين لم يشدد ياء النسب ، وكان بالحضرة رجل من اصحاب عباس بن ناصح ، فساءه ذلك فقصد الى عباس — وكان مسكنه بالجزيرة — فلما طلع على عباس قال له : ما أقدمك أعزك الله فى هذا الأوان ؟ . قال اقدمنى لحنك ! قال عباس : وكيف ذلك ؟ فأعلمه بما جرى من القول فى البيت ، قال : فهلا انشدتهم بيت عمران بن حطان :

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى

---

(١) الدكتور رضوان الدايه ص ٢٦٨
(٢) الزبيدى : ٢٧٨ — ٢٧٩ .

قال : فلما سمع البيت كرّ راجعا فقال له عباس : لو نزلت فأقمت عندنا ، قال : ما بى الى ذلك من حاجة ، ثم قدم قرطبة فاجتمع بجودى واصحابه فأعلمهم ."

ومن ذلك ايضا ما يروى (١) " عن ابى الكوثر الخولانى الذى انتقد قول ابى محمد الاعرابى العامرى لابراهيم بن حجاج صاحب اشبيليه : " تالله ما سيّدتك العرب الا بحقك " فقال له يا أبا محمد العلماء عندنا بالعربيه يقولون : سوّدتك ، واختلفا ، فكتب ابو الكوثر الى يزيد بن طلحه ـ وكان استاذا فى علم العربية واللغة ـ فأجابه : المعروف سوّدتك بالواو ولعل ما ذكر أبو محمد لغة لبنى عامر ، وأثار الجواب اشكالا أكبر ، فاستدعى ابراهيم بن حجاج يزيد بن طلحة فلما حضر خرج عليه فقال له : أتتسوّر على الرجل فى كلامه ؟ فقال ابن طلحة: ان العلم ليس من جهة المغالبة ولكن من جهة الانصاف والحقيقة ، فليجبنى أبو محمد عما أسأله عنه . فقال له : سل . فقال يزيد : كيف تقول العرب ساد يسود أو ساد يسيد ؟ قال الأعرابى : ساد يسود قال يزيد : هذه الواو معنا فى الفعل ، فكيف تقول العرب السودد أو السيدد ؟ فقال : السودد فقال يزيد : هذه الواو ثابتة فى الاسم . ثم قال أى منزلة عندكم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الفصاحة ؟ فقال الأعرابى : فوق كل منزلة . قال يزيد : فقد ثبت عندنا أنه قال : (تفقهوا قبل أن تسودوا) وهذا حديث لم يطعن فيه احد من علماء اللغة كما صنعوا فى سائر الاحاديث التى وقع فيها الغلط . فلع الاعرابى وقال : يا أهل الأمصار : ماذا صنعتم بالكلام ."

---

(١) الزبيدى . ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦

ومن ذلك ايضا ما رواه ابن سعيد[(1)] من ان عباس بن ناصح الثقفى الشاعر المعروف :

" وفد مرة على قرطبة فى مدة الحكم الربضى ، فجاءه ادباؤها للأخذ عنه ، فسرت عليهم قصيدة :

لعمرك ما البلوى بعار ولا العدم * اذا المرء لم يعدم تقى الله والكرم

حتى انتهى القارئ الى قوله :

تجاف عن الدنيا ، فما لمعجز * ولا حازم ـ الا الذى خط بالقلم

فقال له يحيى الغزال[(2)] ـ وهو حدث ـ أيها الشيخ ، وما الذى يصنع مفعل مع فاعل ؟ ! فقال : فكيف تقول أنت ؟ قال :

تجاف عن الدنيا فليس لعاجز * . فقال عباس : والله لقد طلبها عمك ليالى فما وجدها ! . "

وكان اكثر النقد او بالاحرى ـ الخطرات النقديه ـ تدور فى مجالس الخلفاء او الكبراء وغالبا ما يكون اعتراضا على الشاعر من حيث اللغة او المعنى . ومن ذلك ما رواه ... الحميدى[(3)] حين يقول : " لما قدم صاعد بن الحسن اللغوى[(4)] على المنصور بن أبى عامر جمعنا معه فسألناه عن مسائل من النحو غامضة ، فقصر فيها ، فلما رآه ابن ابى عامر كذلك قال : دعوه ، فهو من طبقتى فى النحو ، أنا أناظره ، قال : ثم سألنا

---

(1) ابن سعيد جـ ١ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥

(2) هو يحيى بن حكم ، ويلقب بالغزال لوسامته وظرفه ولد سنة ١٥٦ هـ ونشأ نشأة علمية ادبية غير ان الشعر غلب عليه فاشتهر به . انظر . ابن دحيه . المطرب " دار العلم بيروت " تحقيق ابراهيم الابيارى ، والدكتور حامد عبد المجيد ص ١٣٣ ، ابن سعيد جـ ٢ ص ٥٧ ، احمد هيكل ص ١٥٧

(3) الحميدى . جذوة المقتبس " الدار المصريه للتأليف مصر ١٩٦٦م " ص ٢٤٢ـ٢٤٣

(٤) انظر ترجمته في ابن بسام ٤ / ١ ص ٢

صاعد فقال : ما معنى قول امرئ القيس :

كأن دماء الهاديات بنحره * عصارة حناء لشيب مرجّل

فقلنا : هذا واضح وانما وصف فرسا أشهب عقرت عليه الوحش فتطاير دمها الى صدره فجاء هكذا ، فقال صاعد : سبحان الله ! أنسيتم قوله قبل هذا فى وصفه :

كميت يزلّ اللبد عن حال متنه * كما زلت الصفواء بالمتنزل

قال : فبهتنا والله ، وكأننا لم نقرأ هذا البيت قط ، واضطرنا الى سؤاله عنه ، فقال : انما عنى أحد وجهين : اما أنه تفشى صدره بالعرق ، وعرق الخيل أبيض فجاء مع الدم كالشيب ، واما شيئا كانت العرب تصنعه ، وهو أنها كانت تسم باللبن الحار فى صدور الخيل ، فيتمعط ذلك الشعر وينبت مكانه شعر أبيض فأيا ما عنى من أحد الوجهين فالوصف مستقيم ."

ومن الملاحظ أن مشكلة السرقات شكلت موضوعا هاما من موضوعات النقد فى الأندلسى منذ بدايته وقد حفظت لنا المصادر الاندلسيه صورا من ذلك وخاصة فى مجالس الخلفاء والأمراء من ذلك ما يروى عن المنصور انه جئ اليه بوردة (١) " فى غير ايامها ، لم تستتم فتح كمامها ، فقال فيها صاعد على الارتجال :

أتتك أبا عامر وردة * يذكرك المسك انفاسها

كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور . وكان ابن العريف حاضرا ، فحسده ، وجرى الى مناقضته ، وقال لابن ابى عامر : ان هذين البيتين لغيره ، وقد انشد فيهما بعض البغداديين بمصر لنفسه ، وهما عندى على ظهر كتاب بخطه ، فقال له المنصور : أرنيه .

---

(١) ابن بسام ١/٤ ص ٩

فخرج ابن العريف وركب وجعل يحث ، حتى أتى مجلس ابن بدر ، وكان أحسن أهل وقته بديهة ، فوصف له ما جرى فقال :

عشوت الى قصر عباسة * وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها * وقد صرع السكر أناسها
فقالت : أسار على هجعة ؟ * فقلت : بلى ، فرمت كاسها
ومدت يديها الى وردة ..... * يحالى لك الطيب انفاسها
كمذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها
وقالت : خف الله لا تفضحن * فى ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على عفة * وما خنت ناس ولا ناسها

فطار ابن العريف بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصرى ، وورى وتحيل بمداد اشقر ، ودخل بها على المنصور ، فلما رآها اشتد غيظا على صاعد " .

واهم كاتب ظهر قبل ابن شهيد وابن حزم فى الاندلس هو ابن عبد ربه الذى اشتهر بمؤلفه الجليل " العقد الفريد " وقد جمع فيه كثيرا من الاشعار والاخبار والقصص وخاصة عن اهل المشرق فكأنما هى بضاعتهم ردت اليهم ولانكاد نلمس فى هذا الكتاب الشخصية الاندلسية المستقلة وانما هو (١) " لاحق بكتب المختارات والمحاضرات على شاكلة ما كان شائعا فى المشرق مثل بعض كتب الجاحظ وابن قتيبة والمبرد وغيرهم . " .

اما من الناحية النقدية فى الكتاب فانا نستطيع ان نلحقه بأوليات النقد الادبى فى الاندلس لأن اكثر احكام المؤلف تقوم على الذوق من استحسان او استهجان والتعقيب على بعض الآراء السابقة .

من كل ما سبق يتبين لنا أن النقد الادبى فى الاندلس لم يستطع ان يأخذ

---

(١) الدكتور محمد رضوان الداية ص ٢٨٠

شكلــه المميزوشخصيته المستقلــة ــ وانما اعتمد على الذوق الشخصى والحكم اللغوى حتى جاء ابن شهيد فكون له منهجــا واضحا وطريقة جليــة فكأنه بذلك واضع اســـس النقد الادبــى فى الاندلس وهذا ما لا حظــه الدكتور احسان عباس حينما قال : (١)

" ولعل اعظم اثنين تمرسا بالنقد فى القرن الخامس وربما ظلا أعظم من نلقاهمــــا فى تاريخ النقد هنالك ، هما ابن شــهيد وابن حــزم ، وكانا صديقين يلتقيان علـــى بعض شئون الحياة " .

ويقول فى موضوع آخــر : (٢) " اصبح ابن حــزم غير جاد فى بناء منهج نقـــدى واضــح كالذى فعلــه ابن شهيـــد " .

وكل ذلك سوف يتضح لنا بوضوح بعد أن نلقى الضوء على نقده فى الأبـــــواب المقبلــه من هذه الرسالــة .

---

(١) الدكتور احسان عباس . تاريخ النقد الادبى عند العرب ص ٤٧٥
(٢) الدكتور احسان عباس . تاريخ الأدب الأندلسى ص ١٤٥ .

- الباب الأول : " ابن شهيـــــد " -

" الفصل (الأول) "

ابن شهيـــد

نسبـــه :

" هو ابو عامر احمد بن عبد الملك بن احمد بن عبد الملك بن عمـــر ابن محمد بن عيسى بن شهيد (*) اشجعى النسب من ولد الوضاح ابن رزاح الـــذى كان مع الضحاك يوم المرج (١) . وهذا الوضاح هو جد بنى وضاح من اهل مرسيـــه (٢) واليه ينتسبون فبنو وضاح من اشجع واشجع من قيس عيلان بن مضر وقد أســـر الوضاح بن رزاح فى يوم المرج ومن عليـــه مروان بن الحكم " .

---

(١) معركة حدثت بين الضحاك بن قيس الفهرى الذى كان قائد الجيـــوش عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم وهى المعركة الخاسمة التـــى استعاد فيها بنو اميه ملكهم من جديد وهزم فيها الضحاك وجئ برأســـه امام مروان بن الحكم فساءه ذلك . انظر " الطبرى . تاريخ الطبـــرى تحقيق ابو الفضل ابراهيم ط ٢ دار المعارف بمصر ١٩٧١ م ج ٥ ص ٥٣٥/ ص ٥٣٨ .

(٢) مرسيه : بضم أوله ، والسكون ، وكسر السين المهمله ، وياء مفتوحـــة خفيفة ، وهاء ، مدنية بالاندلس من اعمال تدمير اختطها عبد الرحمـــن بن الحكم بن هشام " ياقوت الحموى . معجم البلدان " دار صـــاد بيروت ١٣٧٦هـ ١٩٥٧ م " ج ٥ ص ٤٠

(*) " شهيد : بضم الشين المثلثه ، وفتح الهاء ، وسكون الياء المثناة مـــن تحتها ، وبعدها دال مهملة ـ والاشجعى ـ بفتح الهمزة ، وسكون الشين المثلثه ، وفتح الجيم ، وبعدها عين مهملة ـ هذه النسبة الى اشجع بن ريث بن عطفان ، وهى قبيلة كبيرة " ابن خلكان وفيات الاعيان تحقيق محى الدين عبد الحميـــد " مطبعة السعاده ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م " ج ١ ص ١٠٠ .

هكذا نسبه الضبي وعليه اكثر المؤرخين (١) ولكن بعض الكتب (٢) تزيد في نسبه فيقولون : انه احمد بن عبد الملك بن مروان بن احمد بن عبد الملك ..الخ " (٣)
وفيما يبدو انه قد حدث شيء من الخلط عند هؤلاء لأن والد ابي عامر ابن شهيد كان يكنى " بأبي مروان " فظن هؤلاء انه " ابن مروان " . (٤) او انهم خلطوا بينه وبين عبد الملك بن مروان بن احمد بن شهيد الذي يكنى " بابي الحسن " (٥) الراوية المحدث وهو غير والد ابي عامر ابن شهيد .

---

(١) الضبي . بغية الملتمس طبعة مدريد ١٨٨٤م يطلب من مكتبة المثنى بغداد ومؤسسة الخانجي بمصر ص ١٧٨ ـ ١٧٩

(٢) الكتب التي ترجمت له هي :
الحميدي . جذوة المقتبس " مصر ١٩٦٦م " ص ١٣٣ . ابن سعيد . المغرب " دار المعارف بمصر ١٩٦٤م " ص ٧٨ . ياقوت الحموي . معجم الادباء مصر عيسى البابي الحلبي " ج ٣ص . الثعالبي . يتيمة الدهر تحقيق محي الدين عبد الحميد " مطبعة السعادة القاهرة ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م ط ٢ ج ٢ ص ٣٦ . ابن بسام الذخيره " القاهرة ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م " ١/١ ص ١٦١ المقري . نفح الطيب " دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م " تحقيق الدكتور احسان عباس ج ١ ص ٦٢١ . الفتح بن خاقان . مطمح الانفس " مطبعة الجوائب قسطنطينيه ١٣٠٢هـ ط١ " ص ١٦ . الكلاعي . أحكام صنعة الكلام . " دار الثقافه بيروت ١٩٦٦م " تحقيق : الدكتور محمد رضوان الدايه ص ٤٦ . احمد ضيف . بلاغة العرب في الاندلس " مصر ١٣٤٢م ـ ١٩٢٤م ط١ " ص ٤٣ . زكي مبارك . النثر الفني " دار الجيل بيروت ١٩٧٥م " ج٢ ص ٣٦٨ . يعقوب زكي . ديوان ابن شهيد " القاهره . دار الكتاب العربي " ص ٥ . خير الدين الزركلي . الاعلام " بيروت ١٣٨٩ ـ ١٩٦٩م ط ٣ " ج ١ ص ١٥٧ . ـ بروكلمان . تاريخ الأدب العربي " دار المعارف بمصر ١٩٧٥م " ترجمة . رمضان عبد التواب ج ٥ ص ١٢١ . الدكتور احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسي عصر سيادة قرطبة " دار الثقافة بيروت ١٩٧٥م " ص ٢٧٠ . الدكتور شوقي ضيف الفن ومذاهبه في النثر العربي " دار المعارف بمصر ط ٥ " ص ٣٢١ محمد عبد المنعم خفاجي . قصة الادب في الاندلس . " مكتبة المعارف بيروت ١٩٦٢م " ص ٢٩٨ . الدكتور محمد رضوان الدايه . تاريخ النقد الادبي في الاندلس " دار الانوار بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ط ١ " ص ٢٩٣ . الدكتور جودت الركابي في الادب الاندلسي " دار المعارف بمصر ط ٣ " ص ٩١ . الامير شكيب أرسلان الحلل السندسية " مكتبة الحياة بيروت ١٣٥٨هـ " ج ٣ص ٤٥٥ .

وأبو عامر يحمل نفس الاسم الذى يحمله الجد الادنى وهو احمد بن عبد الملك ابن شهيد ومن هنا حصل لبس بين الصغير والكبير ، والحفيد والجد عند بعض الباحثين فخلطوا بينهما حتى فى رواية الأشعار .

كان ابو عامر سليل اسرة عرفت بالرئاسة (١) والوزارة منذ زمن بعيد فى تاريخ الاندلس يقول ابن الابار (٢) : " وشهيد بن عيسى هو الداخل الى الاندلس فى ايام عبد الرحمن بن معاوية ، وتصرف بنوه للخلفاء فى الخطط السنية ، من الامارة والحجابة والوزارة والكتابة ، الى انقراض الدولة الأموية بالاندلس . "

= (٣) الكتب التى نسبته بهذا النسب هى :ـ
ابن خلكان . وفيات الاعيان " مطبعة السعادة مصر ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م " تحقيق محى الدين عبد الحميد ج ١ ص ٩٨ . الصفدى . الوافى بالوفيات دار صادر بيروت " ج ٧ ص ١٤٤ . ابن دحيه . المطرب من اشعار اهل المغرب " دار العلم للجميع بيروت " تحقيق . ابراهيم الابيارى وغيره ص ١٥٨ بطرس البستانى . رسالة التوابع والزوابع " دار صادر بيروت ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م " ص ٧ . الدكتور احمد هيكل . الادب الاندلسى " دار المعارف بمصر ١٩٧١ ط ٦ " ص ٣٧٢ . المعلم بطرس البستانى . دائرة المعارف " مؤسسة مطبوعات اسماعيليات طهران " ج ١ ص ٥٤٩ . شارل بلات . مقدمة ديوان ابن شهيد " جمع " " بيروت ١٩٦٣ م ط ١ " .

(٤) ويزيل الشك قول ابن شهيد نفسه فى رسالة التوابع والزوابع عندما سأله الجنى عن من قائل هذين البيتين :

اتيناك لاعن حاجة عرضت لنا * اليك ولا قلب اليك مشوق
ولكننا زرنا بفضل حلومنا * حمارا تلقى برنا بعقوق

قلت : جدى . ومن الثابت ان قائل هذين البيتين هو احمد بن عبد الملك المسمى بذى الوزارتين . ابن بسام ص ٢٥١ ـ ٢٥٢

(٥) ابن بشكوال . الصلة " الدار المصرية ١٩٦٦ م " ج ٢ ص ٣٥٧

(١) للمزيد عن هذه الاسرة انظر : ابن حيان . المقتبس " دار الكتاب العربى بيروت ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م " تحقيق : الدكتور محمود على مكى ص ٤٤٧ .

(٢) ابن الابار . الحلة السيراء " الشركة العربيه ـ القاهرة ط ١ ١٩٦٣ م " تحقيق حسين مؤنس ج ١ ص ٢٣٨ .

وكان جد ابى عامر " احمد بن عبد الملك " من المقربين عند عبد الرحمن بن محمد الناصر ، فولاه الكورقا د الصوائف وغزا الهشكنس وتولى الوزارة وهو أول من سمى " بذى الوزارتين " وكان من اهل الادب وهو صاحب الهدية المشهورة (١) التى ذكرها ابن خلدون فقال : " واهدى له هديته المشهورة المتعددة الاصناف (٢) ذكرها ابن حيان وغيره وهى مما نقل من ضخامة الدولة الأموية واتساع أحوالها ، وهى خمسمائة ألف مثقال من الذهب العين ، وأربعمائه رطل من التبر ، ومصارفه خمسة واربعين (٣) ألف دينار . ومن سبائك الفضة مائتا بدرة واثنا عشر رطلا من العود الهندى يختم عليه كالشمع ، ومائة وثمانون رطلا من الصمغى المتخير ، ومائة رطل من العود الشبه المنعى ، ومائة أوقية من المسك الذكى المفضل فى جنسه وخمسمائة أوقية من العنبر الأشهب المفضل فى جنسه على خليقته من غير صناعة ومنها قطعة ملطمة عجيبة الشكل ، وزن مائة اوقية ، وثلثمائة اوقية من الكافور المترفع الذكاء . ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير المختم المرقوم بالذهب للباس الخلفاء ، مختلفة الالوان والصنائع ، وعشرة افريسة من عالى جلود الفنك الخراسانية وستة من السرادقات العراقية ، وثمان واربعون من الملاحف البغدادية لزينة الخيل من الحرير والذهب ، وثلاثون شقة الفريون من الملاحف لسروج المهات ،وعشرة قناطير من السمور فيها مائة جلد ، واربعة آلاف رطل من الحرير المغزول ، وألف

---

(١) لهذه المعلومات انظر . ابن الابار ج ١ ص ٢٣٨ .

(٢) ابن خلدون . كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر " دار الكتاب اللبنانى — لبنان ١٩٥٨م " القسم الأول ج ٤ ص ٢٩٩ — ٣٠٠ . وانظر ايضا المقرى . نفح الطيب ، وانظر محمد عبد الله عنان . دولة الاسلام فى الاندلس " مكتبة الخانجى بالقاهرة ط ٤ ١٣٨٩ — ١٩٦٩م " العصر الأول — القسم الثانى ص ٤٦٠

(٣) هكذا فى الأصل وهو خطأ نحوى والصحيح (واربعون) .

رطل من الحرير المنتقى للاستفزال ، وثلاثون بساطا من الصوف وعشر مائة منقاة مختلفة ومائة قطعة معليات من وجوه الفرش المختلفة ، وخمسة عشر من نخاخ الخز المقطوع شطرها ٠

ومن السلاح والعدة ثمانمائة من تخافيف الزينة أيام البروز والمواكب ، والف ترس سلطانية ، ومائة الف سهم من النبال البارعة الصنعة ، ومن الظهر خمسة عشر فرسا من الخيل العراب المتخيرة لركاب السلطان فائقة النعوت ، وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة بمراكب خلافية ، ولجم بغال مجالس سروجها خز جعفري عراقي ، ومائة فرس من عتاق الخيل التى تصلح للركوب فى التصرف والغزوات ، ومن الرقيق أربعون وصيفا وعشرون جارية متخيرات بكسوتهن وزينتهن ومن سائر الاصناف ومن الصخر سيات ما أنفق عليه فى عام واحد ثمانون ألف دينار ، وعشرون ألف عود من الخشب من أجمل الخشب وأصلبه وأقدمه فقيمته خمسون الف دينار ٠ وعرضت الهدية على الناصر سنة سبع وعشرين فشكرها وحسن لديه موقعها (١) ٠"

ويروى لنا المقرى (٢) قصة طريفه حدثت بين جد ابى عامر بن شهيد وبين وزير آخر هو عبد الملك بن جهور مشاركه فى تدبير الأمور وكانت بينهما منافسة فجاء ابن شهيد لزيارة ابن جهور فتأخر خروج الاذن اليه فذهب غاضبا وقال فيه :ـ

" (٣)

اتيناك لا عن حاجة عرضت لنا * اليك ولا قلب اليك مشوق

ولكننا زرنا بفضل حلومنا * حمارا تولى برنا بعقوق

فراجعه ابن جهور يفض منه ، بما كان يشيع عنه ، بأن جده أبا هشام كان بيطارا بالشام بقوله :

حجبناك لما زرتنا غير تائق * بقلب عدو فى ثياب صديق

وما كان بيطار الشام بموضع * يباشر فيه برنا بخليق "

---

(١) وفى هذا دليل على الحضارة التى وصلت اليها الاندلس فى ذلك الوقت٠
(٢) المقرى جـ ١ ص ٣٨
(٣) المقرى جـ ١ ص ٣٨١

اما والد ابن شهيد فقد كان من شيوخ الوزراء في الدولة العامرية يقـول عنه ابن بشكوال (١) : " ابو مروان عبد الملك بن احمد بن شهيد . كان اوحد النا س بالتقدم فى علم الخبر والتاريخ واللغـة والأشعار ، وسائر ما يحا ضر به الملـوك . مع سعة روايته للحديث والآثار وهو مؤ لف " كتاب التاريخ الكبير فى الاخبار " على توالى السنين . بدأ بـه من عام الجماعة سنة أربعين وانتهى الى أخبـار زمانه المنتظمة بوفاته رحمـه اللـه . وهو ازيد من مائة سفر " .

وكان ابو مروان هذا عاملا للمنصور على الجهـة الشرقية بتدمير (٢) وبلنسيـة (٣) لمدة تسعة اعوام حتى سئم العمل فكتب الى المنصور رقعة (٤) يقول فيها " ان كبـير حق المولى لا يذهب بصغير حق العبد ، ولى حرمة أدل بها ، وذمة انبسـط لها ، وقد طالت على الغربه ، وسئمت الخدمه ، ومللت من النعمه فالادالـة الادالـه ، فادالـه . " .

---

(١) ابن بشكوال جـ ٢ ص ٣٥٥

(٢) تدمير : بالضم ثم السكون ، وكسر الميم ، وياء ساكنة ، وراء : كـورة .... بالاندلس تتصل بأحواز كـورة جيان ، وهى شرقى قرطبه ، ولها معادن كثيرة ... وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد . قال الاديب ابو الحسن على بن جودى الاندلسى :

لقد هيـج النيران ، يا أم مالك * بتدمير ذكرى ساعدتها المدامـع

اياقوت الحموى . معجم البلدان " دار صادر بيروت " جـ ٢ ص ١٩٠ .

(٣) بلنسيـة : السين مهملة مكسورة ، وياء خفيفـة : كـورة ومدينة مشهورة بـ بالاندلس متصلة بحـوزة كـورة تدمير ، وهى شرقى تدمير وشرقى قرطبة ، وهـى برية بحريـة ذات اشجار وانهار ، وتعرف بمدينة التراب ، وتتصل بها مدن تعد فى جملتها . قال الشاعر :

بلنسيـة جنـة عاليـة * ظلال القطوف بها دانيـه

عيون الرحيق مع السلسبيـل * وعين الحياة بها جاريـة

ياقوت الحموى . معجم البلدان جـ ١ ص ٤٩٠

(٤) ابن بسام ١/١ ص ١٦٧

وبعد ان ترك ابو مروان العمل اصبح نديما من ندماء المنصور يحضر مجالس انسه ويبادله شرب الاقداح من ذلك ما رواه ابن بسام (١) قال : " كان المنصور قد عزم ذلك اليوم على الانفراد بالميال ، فأمر باحضار الأصحاب ، واحضر الوزير أبا مروان ، وأخذوا فى شأنهم ، فمر لهم يوم من الطيب لم يشهد ، والونة من اللهو لم تمهد ، وطما الأمر وسما حتى تصايح القوم وتزافنوا ، ودار الدور ، ثم انتهى الى الوزير ابن شهيد ، وكان لا يطيق القيام لنقرس كان يلازمه ، فأقامه الوزير أبو عبد الله بن عياش ، فارتجل الشيخ ابياتا جمل يقود بها وينشد :

هاك شيخ قاده عذر لكا * قام فى رقصته مستهلكا
لم يطق يرقصها مستثبتا * فانثنى يرقصها مستمسكا
عاقه عن هزها معتمد لا * نقرس انحى عليه فاتكا
طرب اللهو وقد حق له * طربا ارمضه حتى اشتكى
من وزير فيهم رقاصة * قام من طيب يناغى ملكا
انا لو كنت كما تعرفنى * قمت اجلالا على رأسى لكا
قهقه الابريق منى ضحكا * ورأى رعشة رجلى فبكى (٢)

---

(١) ابن بسام : ٤/١ ص ١٧-١٨

(٢) ابن خلكان نسب هذه الابيات خطأ الى ابى عامر ابن شهيد فى كتابه " وفيات الاعيان ج١ ص ٣٩٩-٤٠٠ ولكن محقق الكتاب وهو الدكتور احسان عباس تنبه الى ذلك فقال فى الحاشية : " هذا الخبر ... لا يتصل بالترجم وانما يروى عن ابيه فان ابا عامر صاحب الترجمة لم يدرك عهد المنصور بن ابى عامر ." وان اصاب الدكتور احسان فى الأولى فقد اخطأ فى الثانية لأن اباعامر ابن شهيد ادرك المنصور والدليل على ذلك نص صريح له فى الذخيره القسم الأول ج ١ ص ١٦٣ . ومما تجدر الاشارة اليه انه كانت امام المحقق عدة طرق لاثبات ان الخبر يروى عن والد ابى عامر من ذلك ان ابا عامر نفسه صرح بأن الشعر السابق ليس له وانما هو لوالده " الذخيره القسم الأول ج ١ ص ١٧٧ ، وكذلك ان ابا عامر لم يصب بالنقرس وانما اصيب بالفالج وضيق النفس ، ودليل آخر هو البيت الذى يقول : هاك شيخ قاده عذر لكا * قام فى رقصته مستهلكا مما يدل على أن القائل شيخ كبير وليس من المعقول أن يكون ابو عامر شيخا فى عهد المنصور.

وكان أيضا من اصحاب ابن شهيد رجل بغدادى يعرف بالكك (١) له نوادر تضحك .... فقال له — لابن شهيد — البغدادى : لله درك يا وزير ! تصلى بالقاعدة وترقص بالقائمة ! فخاطب المجلس بهذا الكلام .

من كل ما سبق يتبين لنا أن ابن شهيد نجل تلك الاسرة الارستقراطية المثقفة فكما رأينا جده شاعرا واديبا رأينا والده مؤلفا وكاتبا وكل ذلك له اثر كبير فى شخصية ابن شهيد وادبه كما سنرى .

---

(١) وقيل : الفكيك . انظر المقرى . ج٣ ص ٢٦١

حياتـــه :

ولد ابو عامر ابن شهيد سنة ٣٨٢ هـ [1] (٩٩٢م) فى مدينة قرطبـــة وهى آنذاك فى ازهى عصورها التاريخيـــة تعج بالعلم والعلماء ومجالس الأدب ، واللهـو.

وعاش ابن شهيد فى احضان النعيم والرفاهيه كما هى الحال فى ابناء الـــوزراء والامراء فلعب بالذهب صغيرا كما يقول عن نفســه [2] " صرت بين يدى المنصور ، فى يوم مطير ، وانا ابن خمس ، أذكر ذلك ذكرى لما كان بالامس ، وكان من اكرامـــه لى ، ولطيف اهتمامه بى ، ما يطول بــه الكتاب ، ولايحتمله الخطاب . وعيْنـــه ومحضــه ،وصريحــه وزبده : أنه وهبنى يوما تفاحـــة كانت بين يديه كبيرة ، ورآنـــى انظر اليها نظر الكلف ، وأتأملها تأمل الشره ، فامرنـى بالقبض عليها ، والعـــض فيها ، فضاق فمى عن أن احيط بجز من اجزاء كرتها ،وصغرت كفى عن أن تقبـــض الا بمختنق من مخانق أنحائها ، فجعل يقطع لى بفمـه ، ويطعمنى على حكمـــه ودعا الناصر ، ومعه فتى سمعتهم يكنونه ابا شاكر ، فقال له : احمله الى أمك ، وأرفق به فى أمك ،......

ومر ابى حتى انزلانى بين يدى السيدة ، واليها امر كل قيمه ، فاستوت بــــى على سريرها ، وعلى مفرقها اكليل من مهابة اميرها ، فلا انس ذلك البهاء فــــى ذلك البهو ، وذلك الحسور الىّ من قناع الزهو ،وطار الخبر بقدومى فى مقاصـير

---

(١) كل المصادر تجمع على ذلك ما عدا الامير شكيب ارسلان فيقول ان ولادته كانـت سنة ٣٤٢ وهذا غير صحيح . الامير شكيب ارسلان . الحلل السندسيـــه جـ ٣ ص ٤٥٧ .

(٢) ابن بسام ١/١ صـ ١٦٤ ـ ١٦٥

المقائل ، وحجرات الكرائم . فأرقلن من تلك الصنائع ، تطير بهن أجنحة الصنائع ، فيالها من كسى وخلع ، وغرائب وبدع .وأمرت السيدة بألف تحمل معى عن نفسها ، وثلاثة آلاف عن سيدها ،فانصرفت بالغنى ،من ذلك الجنى ، ولم أصرف الى المنصور حتى صرت عند ابى ، وقد ظننت أنه متجاف عنه لى ، أو تارك منه معى ، وكانت لى فيه آمال من التوزيع على الخدمة والعيال من الصبيان وصبايا الجيران . أمر ففرق منه على بطانته ، وأشار بحمل باقيه الى خزانته فظللت واجما ، وطفقت راغما ، أطفئ من جمرتى فتذكو ، وأخفى من لوعتى فتبدو ،وبلغ ذلك المنصور ، فوجه نحوى بخمسمائة دينار ، وأقسم على ابى بحياته الا يمنعنى منها ، وأن يدعنى بحكمى فيها ، فبادرت بالركب والرجل ،واخذت فى البذل (١) والعطاء ، وحبوت بأجزل الحباء ، والخيل اذ ذاك نخب من قصب ، والدرق قشور من خشب ، فيومى مذكور فى منية المغيرة الى الآن . "

وبالطبع كان لتلك الحياة الارستقراطية اثر كبير على سير حياة ابن شهيد فقد غلبت عليه البطالة وقاده هواه الى التهتك والانغماس فى الشهوات.

وكان للحياة الاجتماعيه اثر ملموس على حياة ابن شهيد فقد كانت قرطبة فى ذلك الوقت وقبل ان تشتعل فيها نيران الفتنة تعيش فى أمن وسلام وينعم اهلها بالرخاء والاستقرار مستمتعين بجمال الطبيعة الذى ساعد على صفاء نفوسهم ويلبسون اجمل الثياب ويتفننون فى العمران وزخرفة

---

(١) فى هذا دليل على ان الكرم عادة لازمت ابن شهيد منذ الصغر.

المنازل .(١)

وكان ابن شهيد يجلس في " حير الزجالي " خارج باب اليهود يكحل ناظريه بجمال الطبيعة ويتناول اقداح الخمر ويجاذب اصدقاءه اطراف الاحاديث والاسمار الادبيه يقول المقرى :(٢) " وهذا الحير من ابدع المواضع وأجملها ، واتمها حسنا وأكملها ، صحنه مرمر صافى البياض ، يخترقه جدول كالحية النضناض ، به جابية ، كل لجة بها كابية ، قد قربصت بالذهب واللازورد سماؤه ، وتأزرت بها جوانبه وأرجاؤه ، والروض قد اعتدلت أسفاره ، وابتسمت من كمائمها أزهاره ... وكانت لأبى عامر بن شهيد فيه وراحات ، أعطى فيها الدهر ما شاء ، ووالى عليه الصحو والانتشاء ، وكان هو وصاحب الروض المدغمون بازائه أليفى صبوة ، وحليفى نشوة ، عكفا فيه على جريالهما ، وتصرفا بين زهوهما واختيالهما ، حتى ردا هما الردى ، وعداهما الحمام عن ذلك المدى فتجاورا فى الممات ، تجاورهما فى الحياة ."

وكان العيش فى عرف ابى عامر ابن شهيد كأسا مترعة وزوجها حسناء وفتية جعلوا السرور شعارهم ، وادبا يزين به هذه المجلس يقول ابن شهيد :(٣) —

---

(١) للمزيد انظر . لافى بروفنصال . صفة جزيرة الاندلس منتجه من الروض المعطار للحميرى " لجنة التأليف والنشر . القاهره ١٩٣٧ م " ص ١٥٣ ، وانظر محمد عبدالله عنان . الآثار الاندلسيه الباقيه " مؤسسة الخانجى بمصر ط ٢ ١٣٨١هـ — ١٩٦١ م " ص ١٨ وما بعدها .

(٢) المقرى ج ١ ص ٦٣٥

(٣) ابن خاقان . المطمح ص ١٩

(١)

ولرب حان قد شممت بديــــره * خمر الصبى مزجت بصرف عصيــره

فى فتية جعلوا السرور شعارهـــم * متصاغرين تخشعا لكبيــــره

والقس مما شاء طول مقامنـــا * يدعو بعود حولنا بزبـــوره

يهدى لنا بالراح كل مصفـــر * كالخشف خفره التماح خفيــره

يتناول الظرفاء فيه وشربهـــم * اسلافهم والاكـل من خنزيــره

وبلغ من تهتك ابن شهيد انه يتعرض للحرائر وبنات الاعيان فى ليـــال اشد ما يكون فيها المرء ارتباطا بخالقــه من ذلك ما رواه الفتح بن خاقان مــن أنه تعرض لاحدى بنات الاعيان وكانت ذاهبه الى الصلاة فى ليلة سبــع وعشرين من رمضان : وقد هربت منا حين رأته فأنشأ فيها قصيده منها هــذه الأبيــات :ـ (٢)

وناظرة تحت طى القنـــاع * دعاها الى الله والخيــر داع

سعت بابنها تبتغى منــزلا * لوصل التبتــل والانقطـــاع

وجالت بأكنافــه جولـــة * فحل الربيــع بتلك البقـــاع

الى آخــر القصيــده . "

x x x x x

وكانت الحياة الثقافيــة فى قرطبــه نشيطة جدا بل انها بزت بقية مدن الاندلس فى هذه الناحيــه ـ فى ذلك الوقت ـ فقد كان العلماء والادباء والاعيـــان

---

(١) هكذا عند ابن خاقان والأصح أن تكون " الصبا " بالألف الممدوده كما فى الذخيره ص ٢٢٢ والديوان ص ١١٥

(٢) يعقوب زكـى . الديوان ص ١٢٤

يتسابقون الى شراء الكتب وكانت مجالسهم تزدان بالمناظرات الادبية والمناقشات العلمية مما جعل الحركة الثقافية تبلغ ذروة مجدها حتى انه قيل عن قرطبه (١) " هى اكثر بلاد الاندلس كتبا ، وأشد الناس اعتناء بخزائن الكتب ، صار ذلك عندهم من آلات التعين والرياسة، حتى ان الرئيس منهم الذى لا تكون عنده معرفة يحتفل فى ان تكون فى بيته خزانة كتب ، وينتخب فيها ليس الا لأن يقال : فلان عنده خزانة كتب ، والكتاب الفلانى ليس هو عند احد غيره ، والكتاب الذى هو بخط فلان قد حصله وظفر به . "

وقيل ايضا (٢) " اذا مات عالم باشبيليه فأريد بيع كتبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية ، قال : وقرطبة اكثر بلاد الله كتبا . "

وكل هذا بلاشك كان له اثر واضح فى ثقافة ابن شهيد مما جعله واسع الاطلاع غزير المعرفة يناظر الادباء ويناقش العلماء فى جميع المواضيع وشتى الفنون . فمما لا شك فيه ان للبيئة اثرا كبيرا على صاحبها .

× × × ×

ولحياة ابن شهيد ارتباط وثيق بالتطورات السياسية التى مرت بها قرطبة فقد كان ابن شهيد مواليا للعامريين ينعم فى خيراتهم ويستظل بظلهم وكان الناس يعيشون فى دعة وسلام حتى شبت نيران الفتنة عام ٣٩٩ هـ على يد المهدى

---

(١) المقرى . جـ ١ ص ١٥٥
(٢) " . جـ ١ ص ٤٦٢

الذى استطاع ان يتخلص من الدولة العامرية بقتل عبد الرحمن بن ابى عامر ، وتسلم السلطة فى قرطبه ، ولكن المستمين بالله — وهو اموى آخر — لم يمهل المهدى فى الخلافه فقد تزعم البرابرة الذين تحالفوا مع النصارى وقتلوا اهل قرطبة فى وقعة " منيتش " التى هرب بعدها المهدى ثم استعان بالافرنجة وعساكر الثغور ودخل قرطبة من جديد ، ولكن جيشه لم يتحمل بقاءه فقتلوه ونصبوا هشاما المؤيد ، ولكن المستمين عاد فملك الأمر ، وفى تلك الآونة كان انصار العامريين يكاتبون علىّ بن حمود فذكروا له ان المؤيد ترك له عهدا بالخلافه مما دعاه الى دخول قرطبة وقتل المستمين فانتظم الأمر لبنى حمّود (١) .

هذه لمحة موجزة عن تلك الفتنة الشنيعة (٢) التى بليت بها قرطبة مما ادى الى خراب قصورها ودمار حصونها وقتل مشايخها وعلى رأسهم امام جامع قرطبه سعيد بن منذر بن سعيد (٣) ، فقد كان لهذه الفتنة اثر سىء على العلم والعلماء ومنهم ابن شهيد الذى يقول فى هذا المضمار (٤) : " وان الفتنة نسخ للاشياء ، من العلوم والأهواء ، ترى الفهم فيها بائر السلعة ، خاسر الصفقة يلمع باعين الشنآن ، ويستثقل بكل مكان . هذا دأبنا وحربنا ."

---

(١) انظر هذه المعلومات فى ابن عذارى . البيان المغرب " جـ٣ ص ٩٤ وما بعدها

(٢) انظر عبد الواحد المراكشى . المعجب فى تلخيص اخبار المغرب " القاهره ١٣٨٣هـ — ١٩٦٣م " تحقيق الاستاذ محمد سعيد العريان ص ٨٦ .

(٣) ابن حزم الظاهرى . طوق الحمامه " المكتبه التجاريه بمصر ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م تحقيق الاستاذ حسن كامل صيرفى ص ٤٥ .

(٤) ابن بسام ١/١ ص ١٧٩

وفي هذه الاثناء دبت الى ابن شهيد ـ ايام العلويين ـ " عقارب برئت بها منه اباعد واقارب ، واجهه بها صرف قطوب ، وانبرت اليه منه خطوب نالها جنبه عن المضجع " هكذا عبر عنها ابن خاقان (١)، فقال قصيدته المشهوره وهو بذلك السجن (٢) :ـ

قريب بمحتل الهوان بعيد * يجود ويشكو حزنه فيجيد

الى ان يقول :

فراق وسجن واشتياق وذلة * وجبار حفاظ على عتيد

فمن مبلغ الفتيان أني بعدهم * مقيم بدار الظالمين طريد !

ولكن من الجدير بالذكر انه كانت لابي عامر ابن شهيد حظوة عند بعض الامراء الذين تولوا قرطبة امثال ابي عامر ابن المظفر (٣) فنراه يمدحه بقوله :ـ

جمعت بطاعة حبك الاضداد * وتألف الافصاح والاعياد

كتب القضاء بان جدك صاعد * والصبح رق ، والظلام مداد

وكان له اتصال ايضا بالمستعين بالله (٤) ومدحه بعدة قصائد منها قوله : يهنئه بالربيع :ـ

واتاك بالنيروز شوق حافر * وتطلع للزور غب تطلع

وافاك في زمن عجيب مونق * وأتاك في زهر كريم ممتع

فانظر الى حسن الربيع وقد جلت * عن ثوب نور للربيع مجزع

---

(١) ابن خاقان ، المطمح ص ٢٠

(٢) يعقوب زكي ، الديوان ص ٩٩ ـ ١٠٠

(٣) " " " ص ٥٢

(٤) ابو الوليد الحميري ، البديع في وصف الربيع " المطبعة الاقتصاديه ، الرباط ١٣٥٩ هـ ـ ١٩٤٠م اعتنى به الاستاذ ، هنري بيريس ، ص ٣٥ ـ ٣٦

ولكن فيما يبدو أنه قد سعى الواشون بينه وبين هذا الخليفة مما ادى الى سوء العلاقة بينهما يقول ابن شهيد : " أما ابو محمد ، فانتضى علىّ لسانه عند المستمين ، وساعدته زرافة استهواها من الحاسدين "(١) اما يحيى بن حمود المعتلى بالله فقد كانت بينه وبين ابن شهيد صداقة متينة ومدحه بقصائد عديدة حتى انه فكر باللحاق به عندما خرج من قرطبه الى مالقه(٢) يقول فى مطلع احدى قصائده :ـ

أرى أعينا ترنو الى كأنمـــا * تلوى منها جانبىّ أراقـــم

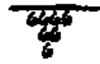
واذا كنا نراه مجرد مادح لمن سبق من الخلفاء فانه قد وصل الى درجة الوزارة عند الخليفة المستظهر بالله(٣) والذى لم تدم خلافته سوى سبعة واربعين يوما فقط وبذلك لم يتمتع ابن شهيد بتلك الوزاره مدة كافية من الزمن حتى يرضى طموحه الذى كان يلازمه .

اما مع المعتد بالله فانا نجده نديما من ندمائه كما يقول ابن الحناط الكفيف عندما سئل عن هذا الخليفه فقال(٤) : " يكفى من الدلالة على اختياره أنه استكتبنى واتخذ ابن شهيد جليسا !! وكان ابن الحناط اعمى وابن شهيد اصم . "

---

(١) ابن بسام ١/١ص ٢٣٣
(٢) " " ١/١ص ٢٧٥ ، الديوان ص ١٥٣
(٣) انظر المقرى جـ ١ ص ٤٨٨
(٤) ابن سعيد ، ص ١٢٣ .

من كل هذا يتبين لنا أنه كان للسياسة أثر فعال على حياة ابن شهيد فكما ذاق حلاوة الوزارة ، تجرع مرارة السجون فعبر عن ذلك في شعره ونثره .



شيوخـه :

جلس ابن شهيد الى الاساتيذ فى اول حياته كما يقول هو(١) ولكنا لم نعثر على ايـة اشارة تدل على ان له شيوخا معروفين تلقى على ايديهم العلم والادب • وفيما يبدو أنه تلقى أكثر علمه عن طريق الاستفادة من ابيه ومن الكتب التى كان يقرؤها(٢) وارتياد تلك المجالس الادبيه التى تعتبر بمثابة ندوات ومحاضرات علميـه •

وفى الواقع ان عدم معرفة شيوخ ابن شهيد الصقت به عيبا عند ناقديـه فى ذلك الوقت(٣) كما يقول فى رسالة " التوابع والزوابع " على لسان ابن الافليلى احد اعدائه(٤) : " فتى لم اعرف على من قرأ " مما يدل على ان هذا كان يضايقه جدا •

لكن ابن شهيد افاد كثيرا من صديقه وحميمه ابى محمد ابن حزم الذى كان يلتقى معه دائما للتباحث فى المسائل العلميه • وكان كل منهما معجبا بما عند

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢١١

(٢) هذا يخالف ما ذهب اليه ابن حيان من ان ابن شهيد كان قليل الاقتناء للكتب ولكن فى حقيقة الامر ان الرجل من خلال كتاباته وثقافته العامه يدل على انه مثقف وقرأ كتبا ليست قليلة • والشك الذى تطرق الى ابن حيان مصدره نص ابن شهيد الذى يقول فيه : " ويسير المطالعه من الكتب يفيد فى ٢٢ ابن بسام ص ٢١١ • ولكن هذا لا يعطى الدليل القاطع على أن ابن شهيد لم يقرأ كتبا ثقافيـه •

(٣) انظر ترجمته فى ابن بسام • الذخيره ١/١ ص ٢٤٠ •

(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢١١ •

الآخر فيتبادلان الزيارات الوديه كما يحكى لنا المقرى :[1] " وحكى ان الحافظ ابا محمد بن حزم قصد أبا عامر ابن شهيد في يوم غزير المطر والوحل شديد الريح ، فلقيه أبو عامر ، وأعظم قصده على تلك الحال، وقال له : يا سيدى ، مثلك يقصدني في مثل هذا اليوم : فانشده ابو محمد ابن حزم بديهيا :ــ

فلو كانت الدنيا دونك لجة * وفى الجو صمق دائم وحريق

لسهل ودى فيك نحوك مسلكا * ولم يتعذر بى اليك طريق "

ومن اصدقائه ايضا الاديب القدير أبو المغيره بن حزم[2] الذى اشتهر بالكتابة وكان شاعرا مجيدا يقول عنهما ابن خاقان :[3] " وكان هو وابو عامر ابن شهيد خليلي صفاء ، وحليفي وفاء ، لا ينفصلان في رواح ولا مقيل ، لايفترقا ن كمالك[4] وعقيل ."

---

(١) المقرى . جـ ٢ ص ٨٣

(٢) انظر ترجمته فى الحميدى . ص ٢٩١

(٣) ابن خاقان . المطمح ص ٢٢

(٤) مالك وعقيل هما نديما جذيمة الابرش اللذان اتياه بابن اخته عمرو بن عدى الذى يقال ان الجن استطارته فقال لهما جذيمة : " احتكما فلكما حكمكما . قالا : منادمتك ما بقيت وبقينا . قال : ذلك لكما . فضرب بهما المثل قال ابو خراش الهذلى :

الم تعلمى أن قد تفرق قلبنا * خليلا صفاء مالك وعقيل

انظر الاغانى لابى الفرج الاصفهانى " دار الثقافة بيروت ١٩٥٨م " تحقيق عبد الستار حزاج جـ ١٥ ص ٢٥١ .

ويقول متمم بن نويره فى رثاء اخيه مالك :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

ابو زيد القرشى جمهرة اشعار العرب " دار نهضة مصر القاهره ط١ " تحقيق على محمد البجاوى جـ ١ ص ٧٤٩ .

احتك ابن شهيد بالادباء والعلماء والشعراء مما ادى الى صقل موهبته وافاده فائدة كبيرة نستشف ذلك من خلال قصائده الرائعة وادبه الجيد .

وفى الواقع ان الذى يهمنا هو تقدير ادب ابن شهيد نفسه واما من ناحية عدم معرفة شيوخه فهذا لا ارى فيه اى غضاضة عليه فكم من انسان ضحل الثقافة عديم العلم وشيوخه من العباقرة العظماء .

آثـــاره :ـ

١ـ " كتاب كشف الدك وايضاح الشك " (١) وهو مفقود ولكن فيما يبـــدو أنه فى علم الحيل والخرافات (٢) ٠

٢ـ " حانوت عطار " وهو مفقود ايضا الا انه توجـد منه بعض النصـــوص فى جذوة المقتبس (٣) ، والمغرب (٤) ، واحكام صنعة الكــلام (٥) ٠ وذكـــر (٦) فى بعض الكتب باسم " حانوت العطار " ٠ وهو كتاب ادبى نقدى يقـــول عنه الدكتور احسا ن عباس (٧) : " فانه لم يصلنا ولكن الحميدى نقل عنـــه فى " جذوة المقتبس " وتـدل نقوله على ان الكتاب تراجم لشعـــراء الاندلس ، فهو سابـق لكتاب " الانموذج " فى هذا المضمار " ٠

---

(١) ابن خلكان ٠ جـ ١ ص ٩٨

(٢) يقول حاجى خليفه : " علم كشف الدك ٠٠٠ هو علم تعرف منه الحيل المتعلقة الصنائع الجزئيه من التجارات وصنعة السمن واللازورد واللعل والياقوت وتغريـــر الناس فى ذلك ولما كان مبناه محرما اضربنا عن تفصيله ٠٠٠ كشف الـــدك وايضاح الشك ـ لأبى عامر احمد بن عبد الملك الاندلسى المتوفى سنة كتاب مشهور فى علم الحيل والشعبذة ٠ كشف الظنون " مكتبة المثنـــى بغداد " جـ ١ ص ١٤٨٩ ٠

(٣) الحميدى ٠ ص ٤٠١

(٤) ابن سعيد ٠ ص ٨٥

(٥) الكلاعى ٠ ص ٤٧

(٦) ابن دحيه المطرب ٠ ص ١٦٠ ، حاجى خليفه ٠ كشف الظنون جـ١ ص ٦٢٤

(٧) د٠ احسان عباس ٠ تاريخ النقد الأدبى عند العرب ص ٤٧٦

ولكن فى الواقع ان كتاب " حانوت عطار " لم يكن مقتصرا على شعراء الاندلس ـ كما يقول الدكتور ـ وانما تكلم المؤلف فيه عن شعراء المشرق مثل ابى تمام الطائى وابى الطيب المتنبى والدليل على ذلك قول الكلاعى (١) : " ان اختيارى القصيدة : ان تكون نحو الاربعين بيتا ، لأن الطول فى الغالب مملول . وهذا العدد من ابيات القصيده كان غاية الطائى والجعفى فى اكثر قصائدهما . وربما زعم بعضهم ان ذلك من هذين الفحلين لضيق عطن . وقد اشار الى شئ من هذا ابو عامر فى : حانوت عطاره . "

٣ـ رسالة " التوابع والزوابع " (٢) وهو العمل الذى اكسب ابن شهيد شهرة كبيرة فى الوسط الادبى ولعل ذلك راجع الى اقتران هذه الرسالة برسالة " الغفران " للفيلسوف العربى ابى العلاء المعرى .

ورسالة " التوابع والزوابع " رحلة خيالية الى باطن الارض استعرض ابن شهيد من خلالها آراء كبار الادباء العرب وجعلهم يعترفون به كشاعر واديب بل انه فى بعض الاحيان يرى انه متفوق عليهم .

والرسالة محشوة بالملاحظات النقدية الهادفه والتى سوف نعرض لها فى مكانها المناسب ان شاء اللـه .

ومن الملاحظ ان الباحثين ابدوا واعادوا فى قضية ايهما اسبق رسالة " التوابع والزوابع " أم " رسالة الغفران " لأن كلا الاديبين عاش فى عصر واحد وقام

---

(١) الكلاعى . احكام صنعة الكلام ص ٤٧

(٢) وتسمى ايضا " شجرة الفكاهة " انظر الحميدى ص ٣٧٤ .

بعمل متشابه من حيث الفكرة ، فاختلفت الآراء وتعددت وجهات النظر وكثرت الاستنتاجات حول هذا الموضوع.

وسواء أكان المعرى سابقا على ابن شهيد أم العكس فان ذلك لا يقلل من شأن احدهما لأن لكل منهما مجاله الخاص به وشخصيته المستقلة التى تميزه عن الآخر . ونستطيع ان نلخص ذلك فى ثلاث نقاط :ـ

أ ـ ان فكرة الخروج عن هذا العالم اقدم من المعرى وابن شهيد فقد ظهرت فى القرن الثالث الهجرى تحت تأثير قصة الاسراء والمعراج فى شكلها الاسطورى فظهرت فى الادب البهلوى الذى كان يكتب فى ذلك الوقت ويتمثل ذلك فى رسالة " اردای فیراف نامه " كما ظهرت فى الادب العربى فى كتاب " التوهم " للحارث بن اسد المحاسبى المتصوف المشهور.

ب ـ ان موقف ابن شهيد من رحلته يختلف عن موقف المعرى من رحلته . فابن شهيد يرحل الى عالم الجن وهو عالم دنيوى فى حين ان رحلة المعرى الى الجنة وهى عالم اخروى . ثم ان ابن شهيد لا يؤمن بوجود العالم الذى يتحدث عنه كما يظهر ذلك من رسالته فى حين ان المعرى كان يؤمن بوجود الجنة او على الأقل يجارى الايمان العام بوجودها لدى قرائه.

جـ ـ ان المخلوقات الموجودة فى عالم ابن شهيد لها طابعها الخاص وهو الالهام الذى يقيم صلة خاصة بينها وبين بنى البشر . فى حين ان الموجودات فى عالم الآخرة الذى صوره المعرى ليست لها صلة خاصة بالناس بل ان بعضها هم الناس الذين ماتوا قبل كتابة الرسالة .

ومما يجدر ذكره ان رسالة " التوابع والزوابع "(١) لم تصلنا كاملة وانما ذكرت فصول منها فى كتاب الذخيرة(٢) وقد جمعها الاستاذ بطرس البستانى مع دراسة تاريخيه عن حياة ابن شهيد فى كتاب مستقل مطبوع.

٤ـ " ديوان ابن شهيد "(٣) : جمع ديوان ابن شهيد وحققه الاستاذ يعقوب زكى فى رسالة دكتوراه ـ كما ذكر فى المقدمه ـ وصدره بدراسة تاريخية عن جوانب من حياة ابن شهيد .

وجمعه ايضا الاستاذ " شارل بلات "(٤) عام ١٩٦٣م وكتب مقدمته الاستاذ بطرس البستانى .

٥ـ " الرسائل النقديه " وتعداهم عمل قام به ابن شهيد لأن فيها آراء جديدة واستنتاجات مبتكرة يرجع الفضل فيها الى ابن شهيد وهذه الرسائل سوف نعالجها بالتفصيل فى الفصول الخاصه بالنقد . والقسم الأكبر منها فى كتاب الذخيرة لابن بسام.

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٣٨

(٢) بطرس البستانى . رسالة " التوابع والزوابع " " دار صادر بيروت ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م "

(٣) الاستاذ يعقوب زكى . ديوان ابن شهيد " دار الكتاب العربى القاهره " راجعه د : محمود مكى .

(٤) شارل بلات . ديوان ابن شهيد " دار المكشوف بيروت ١٩١٣ م ط ١ "

٦ـ " الرسائل الادبيه " . وهناك رسائل اخرى لابن شهيد يصف فيها البرد والنار ، ويصف الحلوى ، والبرغوث ، والماء ، والثعلب ، والبعوضه وغير ذلك . وله رسائل اخرى الى الخلفاء والوزراء . ذكرت كل هذه الرسائل في الذخيره واليتيمه وغيرهما من الكتب (١).

---

(١) يذكر الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم محقق كتاب " بدائع البدائه " العلي ابن ظافر في فهرس الكتب ص ٤٨٨ ان لابن شهيد كتابا يسمى " الغرائب الماضيه " وعندما رجعنا الى النص في نفس الكتاب ص ٣٥٤ وجدنا المؤلف يقول : " فكتب الوزير ابو مروان عبد الملك بن شهيد والد الوزير ابي عامر احمد صاحب الغرائب الماضيه في هذا الكتاب ."

والمقصود من ذلك الاشادة والاطراء على ابي عامر ليس اكثر من ذلك . ولكن فيما يبدو ان الامر اختلط على المحقق فظن ان المؤلف يسمي كتابا لابن شهيد بهذا الاسم .

مقومات شخصيته :ـ

كان ابن شهيد أصم ويعانى كثيرا من تلك العاهة التى قعدت به عن منصب الكتابه كما يقول (١) هو بل انها اصبحت مجالا للتندر به والحط من شأنه عند حاسديه امثال ابن الحناط الاعمى الذى يقول حينما سئل عن هشام المعتد (٢) : " يكفى من الدلالة على اختياره انه استكتبنى واتخذ ابن شهيد جليسا !! وكان ابن الحناط اعمى وابن شهيد اصم ."

كذلك كان ابن شهيد رجلا أطلس وهو الذى يميل الى السواد يقول فى رسالة (٣) " التوابع والزوابع " : " فتبسم الى وقال : أهكذا انت يا أطيلس ، تركب لكل نهجه ، وتمج اليه عجبه ؟ فقلت : الذئب اطلس ، وان التيس ما علمت ! ."

(٤)
ومما يتصف به ابن شهيد رداءة الخط ولكنه يبرر ذلك بقوله : " ادام الله يا أخى حفظك ، وسدد لفظك ولحظك . بلغنى ـ اعزك الله ـ أنك عبتنى بغموض الخط وضعف حروفه ، ولم تعلم ان خطوط العلماء ضعيفه ، وان خطوط الخلفاء لطيفة ، وان ذلك من معالم السؤدد بينهم ، ودلائل الكرم فيهم .

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٨
(٢) ابن سعيد . ص ١٢٣
(٣) ابن بسام . ١/١ ص ٢٣٠
(٤) الكلاعى . ص ٤٧

وأن ضعف الخط تميمة علقت على جيد اللفظ ، وأن منزلته من الكلام منزلة الكلف من بدر التمام . " .

ولكن هذا الرأى جانب الصواب لأن فيه شيئا من المبالغه .

اما اخلاق ابن شهيد فنستطيع ان نلخصها فيما يلى :ـ

١ـ لهوه ومجونه : يقول ابن حيان : " رجل غلبت عليه البطالة فلم يحفل في (١) آثارها بضياع دين ولا مروءة ، فحط فى هواه شديدا حتى أسقط شرقه ، ووهم نفسه راضيا فى ذلك بما يلذه ، فلم يقصر عن مصيبة ، ولا ارتكاب قبيحة . "

لكن يجب ان نعلم ان العصر الذى عاش فيه ابن شهيد كان له دخل كبير فى مجونه ولهوه واستهتاره بالقيم والمبادئ . كذلك ناحية اخرى لها اثرها الفعال فى ذلك وهو " الصمم " الذى يعانى منه هذا الرجل مما دعاه الى التنفيس عن ذلك بشرب الخمر وقضاء الوقت بين الندماء والوجوه الحسان يقول ابن شهيد عن اصدقائه : " اجل ما بيننا ارتضاع الكاس ، وشم الآس ، والجرى فى حلقات الصبا ، والصيد بالسكر فى الربى . "

٢ـ الكرم : ـ كان ابن شهيد كريما جوادا يبذل العطاء للمستحقين ويساعد ذوى الحاجه وهناك بعض القصص التى تحكى كرمه وجوده من ذلك ما رواه ابن دحيه (٢) عن قصة الرجل الذى اتى من طليطله هو وابناؤه يلتمسون المساعده والعون من الكرماء فارشده الناس الى بيت ابى عامر ابن شهيد

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢

(٢) ابن دحيه . ص ١٥٨ ـ ١٥٩

فاجزل له العطاء فمنحه اموالا واعطاه دارا وملابس فاخره الى غير ذلك . وكل هذا يعطينا صورة صادقة عن كرم ابن شهيد الذى ملأ الآفاق واشتهر بين الناس (١). ولكن آفة الكرم الفقر ـ كما يقال ـ فقد شارف ابن شهيد الاملاق لأن البطالة كانت غالبة عليه ولكنه بقى على هذه الحال (٢) " لايليق شيئا ولاييأس على فائت " حتى مات رحمه الله.

٣ـ العزة والافتخار : كان ابن شهيد يعتز بنسبه فى اكثر الاحيان ويفاخر باسرته ومجد اجداده يقول مخاطبا نفسه (٣) : " ثكلتك المكارم يا ابن الاكارم ! الست من اشجع فى الملا ه ومن شهيد فى الذرى . "

ويقول كذلك (٤) :ـ

والنفس نفس من شهيد سنخها * سنخ غذت منه العلا بلبانها

ويقول ايضا (٥) :ـ

من شهيد فى سرها ثم من أشـ * ـجع فى السر من لباب اللباب

ومن جيد قوله فى هذا المضمار (٦) :ـ

ان الكريم اذا نالته مخمصة * ابدى الى الناس شبعا وهو طيان

يحنى الضلوع على مثل اللظى حرما * والوجه غمر بماء البشر ملآن

ولو تصفحنا كتابات ابن شهيد لرأيناه فى اكثر من موضع يقول (٧) : " تنفضت تنفض

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢
(٢) الحميدى . ص ١٣٦
(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٩٥
(٤) الديوان . ١٦٧
(٥) " ٨٧
(٦) ابن دحية ١٣٥
(٧) ابن بسام ١/١ ص ١٧٢

العقاب ، وهزتني آريحيات الشباب ، وقام بوهمي أني ملأت الأرض بجسمي فأومأت الى الجوزاء بكفي أن تأملي ٠ "

ولكن هذه السجيه بالذات اثارت عليه غضب خصومه وحاسديه مما جعلهم يهاجمونه مهاجمة عنيفةويقذعونه بشديد القول ومن اولئك ابن الحناط الكفيف الذى يقول : " وأخونا (١) أبو عامر يسهب نثرا ، ويطيل نظما ، شامخا بأنفه ، ثانيا من عطفه ، متخيلا أنه قد احرز السباق في الآداب ، واوتي فصل الخطاب ٠ "

ومن يقرأ رسالة " التوابع والزوابع " يجد ان هذا الشعور لا يكاد يفارق ابن شهيد مع اكثر من قابلهم من توابع الشعراء والكتاب فيخرج غالبا لا مغلوبا ٠ويمكن تفسير ذلك باحد امرين :

اما لأنه حرم من المناصب التي كانت لآبائه واجداده فاحس بالظلم مما جعل عنده رد فعل اليم اراد ان يغطيه بكبريائه وفخره ٠

او انه من غرور العلماء الذى جعله ينظر الى من حوله بأنهم اقل منه درجة وهذا مالا يستحسن من العالم الجليل ٠

ولكن على اى حال اذا كان لهذه الصفة مساوئ فان لها محاسن ايضا يقول الدكتور احسان عباس (٢) : " وابن شهيد اقرب الى عالم النقد من صاحبه (٣) لأن اعجابه

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٥

(٢) الدكتور احسان عباس ٠ تاريخ النقد الادبي عند العرب " دار الامانه بيروت : ١٣٩١م ط ١ " ص ٤٧٦ ٠

(٣) يقصد ابا محمد ابن حزم الفقيه المعروف٠

الذاتى بنفسه وضعه موضع التفرد — فى نظر نفسه عند ازاء الآخرين .....
ولهذا كان العامل الموجه فى مذهبه النقدى هو ايمانه بطريقته فى الشعر والنثر ."

٤ـ حصافة الرأى : ـ كان ابن شهيد حصيف الرأى صادق المشوره يقول ابن حيان[1] : " كان من اصح الناس رأيا لمن استشاره ، وأضلهم عنه فى ذاته . "

وهذا يدل على انه كان رجلا مرموقا يستشيره الناس فى امورهم وشؤون حياتهم وتعبير ابن حيان بالضلالة فى ذاته لأنه كان يعاقر الخمر ويجاهر بالمنكر.

٥ـ الفكاهة[2] : ـ اكثر من ترجم لابن شهيد وصفه بأنه كثير الهزل لاذع النكتة سريعها ويتضح ذلك من خلال شعره ونثره الذى يميل فى اكثر الاحيان الى الفكاهة.

بل أن اسرة ابن شهيد اشتهرت بهذه الميزه كما[3] " يقول بيريس ان ادب هذه الاسرة يتميز بطابع يسميه Huoristique (الميل الى الدعابه) ."

وقد يكون لحياة ابن شهيد دخل كبير فى اتسامه بهذه السمه لأنه كما مر بنا عاش حياة لاهية ماجنه بين اصدقاء يسعون وراء المرح والسرور ومن المعروف ان مثل هذه الاجتماعات تحتاج الى الفكاهات والنوادر التى تضفى على المجالس الفرح والمتعه.

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢
" من العجيب فى تشابه الحظوظ أن النقاد الفرنسيين يصفون " لافونتين " بهذا الوصف فيذكرون (انه كان من اصح الناس رأيا لمن استشاره واضلهم عنه فى ذاته) وما اكثر ما يتشابه رجال الأدب " الدكتور زكى مبارك جـ ٢ ص ٣٧١
(٢) ابن بسام ١/١ ص ١٦٢
(٣) يعقوب زكى . مقدمة الديوان ص ١٣

٦ـ حبه لقرطبه : لقد كان ابو عامر يحب قرطبة حبا شديدا لأنها مسقط رأسه ومرتع صباه وموطن ذكرياته وقيل انه لم يفارقها الا مرة واحده وعاد اليها . وحتى بعد الفتنة وبعد ان صارت خرابا ودمارا ظل ابن شهيد متمسكا بحبه لها ويسميها العجوز (١) البجْراء (٢) يقول فى ذلك :

عجوز لعمر الصبا فانيه	*	لها فى الحشا صورة الغانيه
زنت بالرجال على سنها	*	فياحبذا هى من زانيه
تريك المقول على ضعفها	*	تداركما دارت السانيه
فقد عنيت بهواها الحلو	*	م فهى براحتها عانيه
تقاصر عن طولها قونكة (٣)	*	وتبعد عن غنجها دانيه
ترديت من حزن عيش بها	*	غراما فيا طول احزانيه

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٧٥
(٢) الديوان ، ص ١٦٨
(٣) هذا الشطر مكسور حتى فى الأصل وهو الذخيره ويستقيم اذا حذفنا التاء المربوطه من آخره فنقول : " قونك " ولعلها كلمة اسبانيه استعملها ابن شهيد .

علته ووفاتـــه :ـ

يقول ابن بسام (١) : " ولما طال بأبي عامر ألمه ، وتزايد سقمه ، وغلب عليه الفالج (٢) الذى عرض له فى مستهل ذى القعدة من سنة خمس وعشرين وأربعمائـــة لم يعدمه حركـة ولاتقلبا ، وكان يمشى الى حاجته على عصا مرة ، واعتمادا علــى انسان مرة ، الى قبل وفاته بعشرين يوما ، فانه صار حجرا لا يبرح ولا يتقلـــــب ، ولا يحتمـل أن يحرك لعظيم الأوجـاع ، مع شدة ضغط الأنفاس وعدم الصبـــر ، حتى هم بقتل نفسه ، وفى ذلك يقول من قصيـدة :

انوح على نفس واندب نبلهـا * اذا انا فى الضراء أزمعت قتلها

رضيت قضاء الله فى كل حالـــة * على واحكاما تيقنت عدلهـــا

اظل قعيد الدار تجنبنى العصا * على ضعف ساق اوهن السقم رجلها

وأنعى حسيسات ابن آدم عامـلا * براحـة طفل أحكم الضر نصلهـا

الا رب خصم قد كفيت ، وكربـة * كشفت ، ود اركت فى المحل وبلها

ورب قريض كالجريض بعثتـــه * الى خطبة لا ينكر الجمع فضلهـا

فمن مبلغ الفتيان أن أخاهـــم * أخو فتكة شنعاء ما كان شكلهـا ؟

عليكم سلام من فتى عضه الــردى * ولم ينس عينا أنبتت فيه نبلهـا

يبين وكف الموت يخلع نفســه * وداخلها حب يهون ثكلهـــا "

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ .

(٢) يقول الحميدى ان علتـه " ضيـق النفس والنفـخ " ص ١٣٦ وفيما يبدو أن جميـع هـذه الأمـراض قد تكالبت على ابن شهيد .

وضاق ابن شهيد بالحياة ذرعا فهدأ يخفف عن نفسه بمراسلة اصدقائه وشكوى الحال اليهم يقول الحميدى (١) : " أخبرنى ابو محمد على بن احمد (٢) قال : كتب الى أبوعامر بن شهيد فى علته بهذه الأبيات :—

ولما رأيت العيش لوى برأسه * وايقنت أن الموت لا شك لاحقى

تمنيت أنى ساكن فى غيابه * بأعلى مهب الريح فى رأس شاهق

أرد سقيط الحب فى فضل عيشتى * وحيدا واحسو الماء ثنى المفالق

خليلى من ذاق المنية مرة * فقد ذقتها خمسين قولة صادق

كأنى وقد جان ارتحالى لم أفز * قديما من الدنيا بلمحة بارق

فمن مبلغ عنى ابن حزم ، وكان لى * يدا فى ملماتى وعند مضايقى

عليك سلام الله انى مفارق * وحسبك زادا من حبيب مفارق

فلا تنس تأبينى اذا مافقدتنى * وتذكار أيامى وفضل خلائقى

وحرك له بالله من أهل فننا * اذا غيبونى كل شهم غرانق

عسى هامتى فى القبر تسمع بعضه * بترجيع سار أو بتطريب طارق

فلى فى ادكارى بعد موتى راحة * فلا تمنعونها علالة زاهق

وانى لأرجو الله فيما تقدمت * ذنوبى به مما درى من حقائق (٣) "

---

(١) الحميدى ، ص ١٣٣

(٢) هو ابو محمد ابن حزم العالم المشهور صاحب المؤلفات المديدة .

(٣) رد ابن حزم على ابن شهيد قصيده على نفس البحر والقافيه مطلعها :

ابا عامر ناديت خلا مصافيا * يفيدك من دهم الخطوب الطوارق

انظر : الحميدى ص ١٣٤ .

ومن هذه القصيدة نستشف مدى الألم والشدة التى عاناها ابن شهيد (١) من مرضه حتى انه تمنى ان يكون فى رؤوس الجبال وفسيح البرابرى يعيش عيشة بسيطة . والقصيدة تنبض بعاطفة الألم والحسرة .

ويبدو ان الرجل حينما ايقن بان الموت قد قرب منه اخذ يحاسب نفسه على مافرط فى جانب ربه فتحول الى زاهد واعظ (٢) يلوم نفسه ويؤنبها يقول فى ذلك :

تأملت ما افنيت من طول مدتى * فلم اره الاكلمحة ناظر

وحصلت ما ادركت من طول لذتى * فلم الفه الا كصفقه خاسر

وما أنا الا رهن ما قدمت يدى * اذا غادرونى بين اهل المقابر "

وقبل ان يتوفى ابن شهيد اوصى ببعض الوصايا الغريبه التى تدل على ان الرجل ندم على ما فات فاراد أن يكفر عن ذنوبه ولو ببعض الشىء (٣) فمن وصاياه :

"أن يصلى عليه ابوعمر الحصار الرجل الصالح ، فتغيب اذ دعى ، وأوصى أن يصب عليه التراب دون لبن ولا خشب فاغفل ذلك . "

وان لم تنفذ الوصيتان السابقتان فقد نفذت بقية وصاياه وهو (٤) " أن يدفن

---

(١) يقول ابن خاقان : " واحسب ان الله اراد بها تمحيصه ، واطلاقه من ذنب كان قنيصه ، فطهره تطهيرا ، وجمل ذلك على المفوله ظهيرا . " ص ٢١

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٥

(٣) الحميدى ص ١٣٦

(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٧

بجنب صديقه ابى الوليد الزجالى (١) ، ويكتب على قبره فى لوح رخام هذا النثر والنظم :

بسم الله الرحمن الرحيم " قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون " هذا قبر أحمد بن عبد الملك بن شهيد المذنب ، مات وهو يشهد أن لا اله الا الله ، وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور .

مات فى شهر كذا من عام كذا . ويكتب تحت هذا النثر هذا النظم :

(٢)
يا صاحبى قم فقد أطلنا * انحن طول المدى هجود ؟
فقال لى : لن نقوم منها * ما دام من فوقنا الصعيد
تذكركم ليلة لهونا * فى ظلها والزمان عيد ؟
وكم سرور همى علينا * سحابة ثرة تجود ؟
كل كأن لم يكن تقضى * وشؤمه حاضر عتيد
حصله كاتب حفيظ * وضمه صادق شهيد
يا ويلنا ان تنكبتنا * رحمة من بطشه شديد
يا رب عفوا فأنت مولى * قصر فى أمرك العبيد "

---

(١) يقول المقرى انه دفن بحير الزجالى جوار صديقه ابى الوليد " انظر جا ص ٦٣٥ " ولكن الحميدى يقول انه دفن بمقبرة ام سلمه [انظر ص ١٣٥]

(٢) يقصد صاحبه ابا الوليد الزجالى الذى دفن الى جواره .

" كان ابو عامر كثيرا ما كان يخشى صعوبة الموت ، وشدة السوق ، فيسر الله عليه ، وما زال يتكلم ويرغب الى الله أن يرفق به ، ويكثر من ذكره ، وقد أيقن بفراق الدنيا الى أن ذهبت نفسه رحمه الله يوم الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة (٢) . ولم يشهد على قبر أحد ما شهد على قبره من البكاء والعويل ." (١)

وصلى على ابن شهيد (٣) " رئيس قرطبه ابو الحزم جهور بن محمد بن جهور الكلبي " (٤) " ولم يعقب وانقرض عقب الوزير (ابيه) بموته . "

وانشد على قبر هذا الاديب من المراثي الشيء الكثير منها قول ابى الاصبغ القرشي (٥) من قصيدة طويله :

شهدنا غريبات المكارم والعلا * تبكى على قبر الشهيدى احمدا

وما زال اهل الدين والفضل والتقى * عكوفا به حتى حسبناه مسجدا

أريد بسقيا الغيث احياء حفرة * كدرنا بها نجم الملا المتوقدا (٦)

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٨
(٢) قال الحميدى : " ودفن يوم السبت ثانى يوم وفاته " ص ١٣٥
(٣) ابن دحيه . ص ١٦٠
(٤) الحميدى . ص ١٣٦
(٥) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٨
(٦) بقية القصيدة . انظر ابن بسام ١/١ ص ٢٨٨

(١)
وممن انشد على قبره مرثية ابو حفص ابن برد الاصغر يقول :

بفيك الترب من ناع نعانـــــى * نعى غيرى الى وما عدانـــــى

وكيف ولم يصل طرفى بدمـــــع * عليه ، ولم يجـن له جنانـــــى

قال المقرى : " قال الرئيس ابو الحسن عبد الرحمن بن راشد الراشدى لمانعيت

أبا عامر ابن شهيد الى ابى عبد الله الحناط الشاعر ، وقد عرف ما كان بينهمـــــا

من المنافســه ، بكى وانشدنى لنفسه بديـهة :

لما نعى الناعى أبا عامـــــر * ايقنت أنى لست بالصابـــــر

اودى فتى الظرف وترب النـدى * وسيد الأول والآخـــــر

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٨٩ وبقيـة القصيده :

لاية خصلة تبكيك عينـــــى * ومالى بالحساب لها يــــدان

أللهمم المنوطة بالثريـــــا * أم الشيم المهذبة الحســـان ؟

ام الكرم الذى مازال يجـرى * مع الأنواء فى طلق الرهـــان ؟

ام القلم الذى قد كان يجنـى * من القرطاس نوار البيـــان ؟

ام الرأى الذى ما زال يغنـى * عن السيف المهند والسنـــان ؟

شهدت لقد اصيب بنو شهيد * بقاطمة السواعد والبنـــان

به درجوا من الدنيا فبانـوا * وكل ما خلا الرحمـن فانـــى

" الفصل الثاني "

(مكانته الادبيه)

كان ابن شهيد موضع اجلال وتقدير منذ القدم وعند كبار الادباء الذين تكلموا عن شعراء الاندلس وكتابها .

وسوف نعرض هنا لتلك الأقوال التى قيلت فى ابن شهيد او بالاحرى الاحكام التى تبين مكانة هذا الاديب وعلو شأنه فنبدأ بقدماء النقاد : يقول ابو محمد بن حزم (١) : " ولنا من البلغاء احمد بن عبد الملك بن شهيد صديقنا وصاحبنا ، وهو حى لم يبلغ سن الاكتهال ، وله من التصرف فى وجوه البلاغة وشعابها مقدار يكاد ينطق فيه بلسان مركب من لسانى عمرو وسهل (٢) . "

وقال عنه ابن حيان (٣) : " كان ابو عامر يبلغ المنى ولايطيل سفر الكلام ، واذا تأملته ولسنه ، وكيف يجر فى البلاغة رسنه ، قلت عبد الحميد فى اوانه ، والجاحظ فى زمانه . والعجب منه أنه كان يدعو قريحته الى ما شاء من نثره ونظمه فى بديهته ورويته ... وكان فى تنميق الهزل والنادرة الحارة اقدر منه على سائر ذلك . وشعره حسن عند اهل النقد ، تصرف فيه تصرف المطبوعين ، فلم يقصر عن غايتهم .

وله رسائل كثيرة فى فنون الفكاهة وأنواع التعريض والأهزال ، قصار وطوال ، برز فيها شأوه ، وبقاها فى الناس خالدة بعده . وكان فى سرعة البديهة وحضور

---

(١) المقرى . ج ٣ ص ١٧٨

(٢) يقصد الجاحظ وسهل بن هارون .

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٦١ ـ ١٦٢

الجواب وحدته ، مع رقة حواشى كلامه ، وسهولة ألفاظه ، وبراعة أوصافـه ، ونزاهة شمائله وخلائقـه ، آيـه من آيـات الله خالقه . "

وقال ابن بسام (١) : " نادرة الفلك الدوار ، واعجوبة الليل والنهار ، ان هزل فسجـع الحمام ، أوجـد فزئير الأسـد الضرغام ، نظم كما اتسق الدر على النحور ونثركما خلط المسك بالكافور ، الى نوادر كأطراف القنا الأملود ، تشق القلـوب قبل الجلود ، وجواب يجـرى مجرى النفس ويسبق رجع الطرف المختلس . "

ويقول ايضا (٢) : " وقد أخرجت من اشعاره الشارده ، ورسائله الباقية الخالدة ، ونوادره القصار والطوال ، وتعريضاته السائرة سير الامثال ، مما يحل له الوقور حبـاه ، ويحن معه الكبير الى صباه . "

وقال الحميدى (٣) : " من العلماء بالأدب ومعانى الشعر وأقسام البلاغـة ، وله حظ من ذلك بسق فيه ، ولم ير لنفسه فى البلاغة أحدا يجاريه ، وله كتـاب " حانوت عطار " فى نحو من ذلك ، وسائر رسائله وكتبه نافعة الجد ، كثـيرة الهزل ، وشعره كثير مشهور . "

اما ابن ماكولا فقال عن ابن شهيد (٤) " يقال انه جاحظ الاندلس " وقال الثعالبى (٥) " فنثره فى غاية الملاحه ، ونظمه فى غاية الفصاحـة . "

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٦١
(٢) " " ١/١ ص ١٦٣
(٣) الحميدى . ص ١٣٣
(٤) الصفدى . الوافى بالوفيات " دار صادر بيروت ١٣٨٩هـ " جـ ٧ صـ ١٤٤/١٤٥
(٥) الفتح بن خاقان . ص ١٦

(١)
ويقول عنه الفتح بن خاقان : " عالم باقسام البلاغة ومعانيها ، حائـــز قصب السبق فيها ، لا يشبهه احد من اهل زمانه ، ولا ينسق ما نسق مـــن در البيان وجمانه ، توغل فى شعاب البلاغة وطرقها ، واخذ على متعاطيها مابـــين مغربها ومشرقها ، لا يقاومه عمرو بن بحر ، ولاتراه يغرف الا من بحر ، مع انطباع ، مشى فى طريقه بامد باع " .

(٢)
وقال عنه ابن دحيه فى المطرب : " وابو عامر هذا ارسخ اهل الاندلس قاطبـــة بالادب ، ينسل اليه من كل حدب ، ولم ير لنفسه فى البلاغـــة أحدا يجاريـــه ، ويساجلـــه فى جميـــع العلوم ويباريـــه . "

وفى كل هذا دليل واضح على اننا امام شخصية علمية قديرة شغلت النقـــاد فترة من الزمن . بل ان ابن شهيد فى يوم من الايام كان يتمتع بلقب " اديب قرطبه "
(٣)
يقول ابن بسام عن الوزير احمد بن عباس : " ومن عجبه انه دخل قرطبه ـ ومنهـــا منتماه ، وهم بقيـــة الناس ـ فحجـــب كبيرهم الشيخ أبا عمرو بن أبى عبدة من غيـــر عذر ، وما عرف عباس أبوه الا بخدمة ابن عمه ، وتنقص اديبهم أبا عامر ابن شهيد . "

لكن فى الواقع ان الا حكام السابقة وان كانت قد صدرت من علماء لهم وزنهـــم الثقافى والعلمى الا انها تفقد الجانب التطبيقى الذى نعتقد انه على درجـــة كبيرة من الاهميـــة فى ميدان النقد .

---

(١) الثعالبى . جـ ٢ ص ٤٩
(٢) ابن دحيـــه ص ١٥٨
(٣) ابن بسام ١/٢ ص ١٧٦

اما من حيث ربطهم بين الجاحظ وابن شهيد فعلى ما يبدو أنهم رأوا ان هناك تشابها بينهما وخاصة فى ناحيتين . الأولى منهما : ان كلا من الجاحظ وابن شهيد تكلم عن الطيور والحيوانات والحشرات وان كان هناك اختلاف كبير بين كل منهما لأن الجاحظ يعالج الموضوع من ناحية علمية بحته يهدف من ورائها الى فائدة القارئ .

واما ابن شهيد فيعالج ذلك من ناحية ادبية فقط وهدفه متعة القارئ .

والثانية : ميلهما الى اسلوب الفكاهة والهزل الساخر والنقد اللاذع ولكن مما لا شك فيه ان لكل منهما اسلوبه الخاص به الذى يميزه عن غيره .

ولكن من الملاحظ انه على الرغم من ذلك الاطراء والاشادة بابن شهيد وادبه فانه لم يسلم من مهاجمة الادباء وخاصة فى عصره فان لكل اديب مؤيدين ومعارضين ، يقول ابن الحناط الكفيف[1] : " وأخونا أبو عامر يسهب نثرا ، ويطيل نظما ، شامخا بأنفه ثانيا من عطفه ، متخيلا أنه قد احرز السباق فى الآداب ، وأوتى فصل الخطاب . "

اما ابو بكر المعروف[2] باشكياط[3] فقد اتهم ابن شهيد بالسرقة الادبية فقال : " فقر حسان الا انه عثر عليها " مع العلم ان هذا لا يعد عيبا عند ابن شهيد كما سنرى فى فصول النقد ان شاء الله .

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٣٨٥
(٢) قيل ان رسالة التوابع والزوابع ارسلت اليه ولكن فى الحقيقه انها ارسلت الى ابى بكر بن حزم .
(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٩٥

واذا كان قدماء الادباء قد عرفوا مكانة ابن شهيد الادبيه فاعطوه ما يستحق من الاجلال والتقدير فان المحدثين ايضا لم يجهلوا تلك المنزله التي يستحقها هذا الاديب فقد اشادوا بشعره ونثره ونقده يقول الدكتور احسان عباس : (١) " ليس في الاندلسيين الذين درسنا شعرهم حتى عصر ابن شهيد من كان اكثر منه توقدا في القريحة ، وأنفذ بصرا في نقد الشعر . "

ويقول في موضع آخر : (٢) " اما في اصابة الحكم على من درسهم من الشعراء فانه ربما تفوق على ابن رشيق وابن شرف ، وربما لم يبلغ اى ناقد اندلسي آخر مبلغه في ارهاف الذوق والاحساس بالجمال الفني ، وقد اتخذ من شاعريته وسيلة للتعبير عن آرائه النقدية بطريق التصوير . "

وقال الدكتور زكي مبارك : (٣) " لاحظنا أن وسائله في صناعة النقد والبيان تدل على أنه كان من أصفى الناس ديباجة ، وأسدهم رأيا ، واصدقهم فراسة ، اذا مضى يشرح مزالق الأفكار ومزلات العقول . "

اما الدكتور احمد هيكل (٤) فيقول عن نقد ابن شهيد : " لمحات نقديه ذكيه عظيمة الشأن . " وقيل انه : (٥) " أعظم من انبتت الاندلس من شعراء حتى ذلك الوقت . "

وقال الدكتور شوقي ضيف : (٦) " ومهما يكن فقد كان ابن شهيد اكبر اديب في عصره . "

---

(١) الدكتور احسان عباس . تاريخ الأدب الاندلسي ص ٢٩٣

(٢) الدكتور احسان عباس . تاريخ النقد الادبي عند العرب " دار القلم . بيروت ط ٤ " ص ٤٨٤

(٣) الدكتور زكي مبارك . جـ ٢ ص ٣٨٦ ـ ٣٨٧ .

(٤) الدكتور احمد هيكل . ص ٣٩٤

(٥) الاستاذ يعقوب زكي . مقدمة الديوان ص ٦٥ (٦) د . شوقي ضيف : ص ٣٢٤ الفن ومذاهبه في النثر العربي .

وتكلم الدكتور محمد رضوان الداية عن مكانته الادبيه فقال (١) : " آراء ابن شهيد النقديــة — معظمها ان لم نقل كلها — صادرة عن وعى ورأى تجريبى لا رأى نظــرى ٠"

وقال عنه الاستاذ احمد ضيف (٢) : " وكان ابو عامر من اعلم الناس متفننا فى علــوم الأدب ، بارعا فى صناعة النظم والنثر ٠ فكانت له منزلة رفيعة وابتكارات بديعــه ، وأساليب راقيــة فى فنى المنظوم والمنثور ٠"

وقال ايضا : " ان ابن شهيد من افذاذ الادباء المفكرين الذين أنجبتهــم حركــة العقول والادراك فى الاندلس ٠"

ونستطيع القول بأن ابن شهيد اديب قدير استطاع ان يسد فراغا كبيرا فــى ادبنا العربى استحق من اجل ذلك الثناء والتبجيل من الادباء قديما وحديثــا ٠ فهو بلاشك شاعر اجاد فى جميع اغراض الشعر المختلفة وان كان اكثر شعره فــى المجون واللهو الا انا نرى فيه روح ابن شهيد المرحــة خفيفــة الظل وقــد صاغه بأسلوب سهل رقيق قريب التناول ولكن فى بعض قصائده شيئا من الكلمات الغريبه وقد اشار هو الى شىء من ذلك ٠

وفى بعض الاحيان نجد فى شعر ابن شهيد نظرات تشاؤميه (٣) من الحيــــاة

---

(١) الدكتور محمد رضوان الدايه ٠ص ٢٩٦ (٢) الاستاذ احمد ضيف ص ٤٣ ، ٥٩

(٢) يقول غرسيه غومس عن شعر ابن شهيد : " ولشعره فى بعض الاحيان رنــة من الاسرار الغامضــة ، وكأنها من نتاج العصور الحديثة " الاستاذ يعقــوب زكــى ٠ مقدمة الديوان ص ٦٦

واهلها مع شيء من الحنين الى الماضى وخاصة بعد ان تقدمت به السن قليلا .

اما نثره فلم يبلغ المستوى الذى وصل اليه شعره ونقده لأن فيه شيئا من الغموض والتكلف والاهتمام بالالفاظ ورصفها والالتزام بالسجع فى اغلب الاحيان ، ومن المؤسف حقا على اديب قدير كابن شهيد ان تكون هناك هوة كبيرة بين كتاباته النثرية وبين نقده وشعره ولكن هذه هى الحقيقة التى لا هروب منها يقول الدكتور زكى مبارك :(١) " سئل ابو العلاء المعرى رأيه فى شعر ابن هانئ الاندلسى فأجاب : " رحى تطحن قرونا " وهو جواب حذق وذكاء ، فضلا عما فيه من روعة التصوير . وأخشى أن يكون الأمر كذلك فى نثر ابن شهيد ، فهو فى الأكثر جمجمة وقعقعة وقلقلة فى غير نفع ولا غناء . ويسؤونا والله أن يكون ذلك ما نراه فى نثر ذلك الرجل الذى نعتقد فيه دقة الفهم ، ورقة الطبع ، وسلامة الذوق "

اما نقد ابن شهيد فهو بلاشك قد بلغ المستوى الذى يستحقه من الاشادة والثناء من جمهور الادباء ويكفيه فخرا انه كان رائدا لبعض القضايا النقدية التى لم تكتشف الا فى هذا العصر كما سوف نوضح فى فصول النقد ان شاء الله .

هل كان ابن شهيد طبيبا ؟

ذكر الحميدى (٢) وغيره من المؤلفين (٣) ان ابن شهيد " كان له من علم الطب نصيب وافر " .

وكل ما بين ايدينا من آثار ابن شهيد لا تجعلنا نجزم جزما تاما انه كان طبيبا ولكن من الممكن انه كان يقرأ فى كتب الطب حتى الم الماما بسيطة عن فائدة بعض

---

(١) الدكتور زكى مبارك جـ ٢ ص ٣٧٨ (٢) الحميدى ص ١٣٦

(٣) انظر . الضبى ص ١٨٠ ، ياقوت الحموى معجم الادباء ص ، الامير شكيب جـ ٣ ص ٤٥٧

الاشياء وضررها ـ مثلا ـ كما هى الحال عند بعض المثقفين فى كل عصر . اذا اخذنا بعين الاعتبار ان الطب فى ذلك الوقت لم يصل الى درجة التعقيد التى وصلها الآن .

وليس بعيدا عن اذهاننا قصة المأمون حينما جلس على المائده وأخذ يصف فوائد الاطعمه الموجوده . فهل نستطيع القول بأن المأمون ليس له علم ولو بجزء يسير من الطب ؟ لا أظن ذلك .

ولكنا نجد استنتاجا غريبا عند الاستاذ البير حبيب مطلق حول هذا الموضوع يقول (١) : " وهؤلاء الذين يسميهم ابن بسام " الاطباء " لايمكن ان نفهم حسب تتبعهم الآن فهمنا ان اللفظه تعنى الفلاسفه او المشتغلين بعلوم الأوائل . "

ولكن العرب ليسوا من الغباء بحيث يخلطون بين علمين مستقلين . كذلك اللغة ليست قاصرة عن مثل ذلك . ولكن " البير " لم يراع الفارق الزمنى بين ذلك العصر وهذا العصر فظن ان كلمة طبيب لا تطلق الا على من اختص فى علم الطب بتلك الاجهزة المعقده والادوات المتعدده فخرج الكلمه ذلك المخرج . او لعله خلط بين كلمة طبيب وكلمة حكيم فالأخيرة هى التى تعنى فيلسوفا وقد اطلقت على الطبيب نظرا للصلة الوثيقة التى ربطت قديما بين الفلسفه والطب .

---

(١) البير حبيب مطلق . الحركة اللغويه فى الاندلس " المكتبه العصريه ـ ـ بيروت ١٩٦٧ م " ص ٢٨٠ ـ ٢٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

(الباب الثانى)

" ابن شهيد والنقد التقليدى "

الفصـــل الأول

" الشعر فى نقد ابن شهيـــــــــد "

مما لا شك فيه ان ابن شهيد قد افاد كثيرا من النقاد الذين سبقوه كما هـى الحال فى كل ناقد فلا نكاد نرى ناقدا استطاع ان يستغنى عن آراء سابقيـــــه من النقاد والاستفادة من خبراتهم الطويلة ومناقشة آرائهم والادلاء برأيـــه بعد ذلك ٠

فقد ناقش ابن شهيد فى هذا الفصل قضيتين نقديتين على جانب كبير مـــن الأهميـة هما اللفظ والمعنى ، والسرقات الشعريه ، والقضيتان مطروقتان قبل ابن شهيد كما طرقتا بعده ، الا انا نلاحظ ان لابن شهيد آراءه المستقله به وشخصيتـــه المميزه التى اضفت على اقواله شيئا من الاستقلال ٠

x x x x

اللفظ والمعنى :

لقد اختلف النقاد حول ابن شهيد اختلافا كبيرا فيما يتصل بقضية اللفـــظ والمعنى فمنهم من آثر اللفظ على المعنى ووضعوا الجاحظ على رأس هذه الفرقـــه ومنهم من آثر المعنى على اللفظ وقالوا : ان عبد القاهر الجرجانى من اصحـــاب هذا الرأى ٠

وفريق آخـر رأى أن التوسط فى الأمـر ارجع فقالوا : ان المعنى روح واللفظ جسد ولاغنى لاحدهما عن الآخـر ومن هؤلاء ابن رشيق وبعض آخر من النقـاد ٠ واكثر الاختلافات ناتجة عن عدم فهم النصوص على وجهها الصحيح فمثلا موقف الجاحـظ من القضيـة يختلف تماما عما أشتهر عنه لأنه لم يفضل اللفظ على المعنى كما زعم ذلـــك

كثير من النقاد ولكن الالتباس حصل من نص الجاحظ الذى قال فيه (١) : " المعانى مطروحة فى الطريق ، يعرفها العجمى والعربى ، والبدوى والقروى ، وانما الشأن فى اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسج ، وجنس من التصوير " .

ولايفهم من هذا أن الجاحظ يستهين بقيمة المعنى ولكنه يقصد ان المعانى قبل صياغتها صياغة فنية من الممكن ادراكها ومن السهل معرفتها فمثلا كل العرب كانوا يعرفون ان الليل يدرك الانسان حيثما وجد واينما حل ولكن جاء النابغة الذبيانى فصاغه بتلك الصورة التى يعجز عنها كثير من الناس فقال :

فانك كالليل الذى هو مدركى * وان خلت ان المنتأى عنك واسع (٢)

وقول الجاحظ : " فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج ، وجنس من التصوير " يدل دلالة واضحة على انه لم يغفل اهمية المعانى لأن التصوير لا يعنى اللفظ وحده وانما يتضمن اللفظ والمعنى فى صورة فنية بارزه " . كذلك ان للجاحظ بعض الأقوال التى تصرح باهمية المعانى وعلو شأنها من ذلك قوله (٣) : " وقال بعضهم — وهو من احسن ما اجتبيناه ودوناه — لا يكون

---

(١) الجاحظ . الحيوان " مصطفى البابى الحلبى القاهرة ط ٢ ١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥م " تحقيق عبدالسلام هارون ج ٣ ص ١٣١ — ١٣٢

(٢) النابغه الذبيانى . الديوان " دار الفكر ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م " تحقيق الدكتور شكرى فيصل ص ٥٢

(٣) الجاحظ . البيان والتبيين " مصر ط ٤ ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م ج ١ ص ١١٥

الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك اسبق من معناه الى قلبك " .

اما عبد القاهر الجرجانى فهو الناقد الذى عرف بنظريته المشهورة وهى نظرية النظم التى ادرك من خلالها القيمة الحقيقية للصورة الادبية والتى كان يحوم حولها كثير من النقاد ولكنهم لم يستطيعوا ان يعبروا عنها فمنهم من شبه المعنى بالروح واللفظ بالجسد ولاغنى لاحدهما عن الآخر . وبعضهم قال : ان الألفاظ قوالب المعانى او العكس الى غير ذلك .

ولكن عبد القاهر بين ان قيمة اللفظ تكمن فى موقعه من النظم ومساعدته على ادراك المعنى الكلى لا من حيث دلالته اللفظية المفرده فقال : (١) " فانا نرى اللفظة تكون فى غاية الفصاحة فى موضع ونراها بعينها فيما لا يحصى من المواضع ، وليس فيها من الفصاحة قليل ولاكثير ، وانما كان كذلك لأن المزية التى من اجلها نصف اللفظ — فى شأننا فى هذا — بأنه فصيح ، مزية تحدث بعد ان لا تكون ، وتظهر فى الكلم من بعد ان يدخلها النظم ، وهذا شىء ان انت طلبته فيها — وقد جئت بها أفرادا لم ترم فيها نظما ولم تحدث لها تأليفا — طلبت محالا " .

ولكن على الرغم من تكامل نظرية النظم على يد عبد القاهر الجرجانى الا انها لم تستطع ان تنهى الخلافات القائمة بين النقاد حول موضوع اللفظ والمعنى لأن اكثرهم

---

(١) عبد القاهر الجرجانى . دلائل الاعجاز " دار المنار بمصر ١٣٦٧هـ ط٤ ص ٣٠٧ — ٣٠٨

لم يفهم هذه النظرية على وجهها المطلوب ، أو انهم ارادوا ان يتعصبوا لــــرأى معين فظلت الآراء تتضارب والاقوال تتشعب حتى يومنا هذا .

ومن الذين ادلوا بآرائهم فى قضية اللفظ والمعنى ابو عامر ابن شهيـــــد فأتى بآراء تستحق التقدير والمناقشة قال : " (١) وانما يستحق اسم الصناعة بتقحم بحور البيان ، وتعمد كرائم المعانى والكلام " فتتساوى عند ابن شهيد الالفـــاظ والمعانى من حيث الاهمية ويرى ان من الواجب على الاديب اختيار الجيد منهما . ويعبر عن الالفاظ " بالكلام " وهذا التعبير لم يكن ارتجاليا من ابن شهيـــد وانما كان له هدف فى نفسه لانه ادرك الصورة الادبيــة فى اوضح شكل لها بـــل عبر عنها بنفس التعبير الحديث فقال : " (٢) فمن كانت نفسه فى اصل تركيبه مستولية على جسمه ، كان مطبوعا روحانيا ، يطلع صور الكلام والمعانى فى اجمل هيئاتهــا ، وأروق لباساتها ، ومن كان جسمه مستوليا على نفسه — من اصل تركيبه — والغالــب على حسه ، كان ما يطلع من تلك الصور ناقصا عن الدرجة الأولى فى الكمـــال والتمام ، وحسن الرونق والنظام . فمن كانت نفسه المستولية على جسمه فقد تأتـــى منه فى حسن النظام ، صور رائعة من الكـلام " .

ومن الملاحظ ان ابن شهيد هو اول ناقد استطاع ان يعبر عن الصورة الادبيـــة بهذا التعبير . بل ان كلامه كان اقرب اليها من كلام اى ناقد آخـــر .

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٦
(٢) ابن بسام ١/١ ص ١٩٧

وفي ما اعتقد ان ابن شهيد في نصه السابق قد اشار الى نظرية النظم التي عبر عنها بقوله : " حسن النظام ، صور رائقة من الكلام " . وبذلك يكون قد سبق عبد القاهر الجرجاني الى فهم هذه النظريه . وهناك نص آخر[1] لابن شهيد ينوه فيه عن النظم مما يدل على أن هذه الفكرة قد تبلورت في ذهنه قال : " ان للحروف انسابا وقرابات تبدو في الكلمات ، فاذا جاوز النسيب النسيب ومازج القريب القريب ، طابت الألفة ، وحسنت الصحبة ، واذا ركبت صور الكلام من تلك ، حسنت المناظر ، وطابت المخابر "[2] .

وفي الواقع ان نظرية النظم لم تنفجر انفجارا على يد عبد القاهر الجرجاني فلابد ان يكون قد استفاد من بعض ملاحظات سابقيه[3] واشاراتهم . ولكن ابن شهيد لم يعالج القضية بصورة مستفيضة كما فعل عبد القاهر الا اذا كان قد حصل شيء من هذا في بعض كتبه المفقوده وخاصة كتاب " حانوت عطار " الذي يدل من اسمه على ان له اتصالا بالنقد .

ويعتبر ابن شهيد اي تأثير على اللفظ او على المعنى يؤثر على الصورة الادبية التي هي النتيجة النهائية لكل منهما . وهذا ان دل على شيء فانما يدل على ان هذا الناقد عبقرية غير عادية استطاعت ان تدرك خفايا القضايا النقدية التي استعصت على كثير من النقاد .

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٩٩

(٢) من الذين اشاروا الى ان ابن شهيد ادرك نظرية النظم الدكتور محمد رضوان الدايه في كتابه تاريخ النقد الادبي في الاندلس ص ٢٩٧ .

(٣) يقول الدكتور بدوي طبانه : " والواقع ان هذه الفكره لم يكن عبد القاهر مخترعا لها وان كان هو الذي بسط فيها القول ، وأقام على أساسها فلسفة كتابه فقد سبقه اليها ابو عبد الله محمد بن زيد الواسطي المتكلم (ت٣٠٧هـ) الذي ألف كتابا سماه " اعجاز القرآن في نظمه " . البيان العربي " دار العودة ــ بيروت ط ٥ (١٣٩٢هـ ــ ١٩٧٢م) ص ١٦٥ .

وفيما يبدو ان ادراك الصورة الادبية التى تعتبر نتيجة من نتائج اللفظ والمعنى قد فاتت كثيرا من النقاد امثال ابن قتيبة الذى قسم الشعر حسب لفظه ومعناه الى اربعة اضرب : (١) ضرب حسن لفظه وجاد معناه ، وضرب حسن لفظه وقصر معناه ، وضرب جاد معناه وقصر لفظه ، وضرب قصر معناه وقصر لفظه .

وهو بهذا التقسيم اوقع نفسه فى شطحات ظاهرة لوحظت عليه منذ القدم ومن ذلك رأيه فى ابيات كثيّر التى يقول فيها :

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح

وشدت على حدب المهارى رحالنا * ولاينظر الغادى الذى هو رائح

اخذنا بأطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح (٢)

فقد وضعها ابن قتيبة فى الضرب الثانى الذى حسن لفظه فاذا انت فتشته لم تجد هناك فائدة فى معناه او ان معناه عادى فأشار الى ان معنى هذه الابيات هو : " ولما قطعنا أيام منى واستلمنا الأركان وعالينا ابلنا الأنضاء ، (٣)

---

(١) ابن قتيبه . الشعر والشعراء " مصر ١٩٦٦م " جـ ١ ص ٦٤

(٢) ابن قتيبه . الشعر والشعراء جـ ١ ص ٦٦ ، كثير عزه . الديوان " دار الثقافه بيروت ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م " جمعه وشرحه الدكتور احسان عباس صـ ٥٢٥

(٣) ابن قتيبه جـ ١ ص ٦٧ .

ومضى الناس لا ينظر الغادى الرائح ، ابتدأنا فى الحديث ، وسارت المطى فى الأباطح) ".

ولكن اكثر النقاد خالفوه فى هذا الحكم بل أنهم نسبوا الجمال الى هذه الابيات (١) . وهذا يدل بلاشك على ان ابن قتيبه لم يفطن الى التصوير الفنى للموقف الانسانى فى هذه الابيات والذى يعد التعريف الصحيح للادب . فابن قتيبه حكم على الشعر من حيث لفظه ومعناه ولم يلتفت الى تلك العلاقة التى تربط بين الالفاظ والمعانى .

ومن أخطاء هذا التقسيم ايضا انه ادخل القسم الرابع فى باب الشعر على الرغم انه ليس منه فما قصر لفظه وقصر معناه ليس شعرا وانما يسمى نظما أو اى تسمية اخرى لانه فقد العناصر الاساسيه فى الشعر .

ويشير ابن شهيد ايضا الى ناحية مهمة فى هذه القضية وهى الاحتراس من خداع الالفاظ وحلاوتها اذا كانت لا تحمل معنى كريما او كان من الممكن التعبير عن هذا المعنى بجملة واحدة فيعبر عنه بعشرات الجمل مما يؤدى الى تكرير الالفاظ وتعدد الاسماء دون الحاجة الى ذلك اذا اخذنا بعين الاعتبار ان البلاغة

---

(١) من الذين استحسن هذه الابيات عبد القاهر الجرجانى فبين حسنها وكشف عن اسرار جمالها انظر . اسرار البلاغة " مطبعة المنار ط ٢ ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥ م ص ١٦ . وممن استجادها ايضا ابن طباطبا فقال : " هذا الشعر هو استشعار قائله لفرحة قفوله الى بلده وسروره بالحاجة التى وصفها من قضاء حجة وانه برفقائه ، ومحادثتهم ، ووصفه سيل الأباطح بأعناق المطى كما تسيل بالمياه . فهو معنى مستوفى على قدر مراد الشاعر " . ابن طباطبا . عيار الشعر " القاهره سنة ١٩٥٦ م ص ٨٤ ".

فى الايجاز بأن تكون الالفاظ على قدر معناها دون زيادة او نقصان قال ابن شهيد (١) : " فقد ترى الشعر فضى البشرة وهو رصاص المكسر ، ذا ثوب معضد او مهلهل ، وهو مشتمل على بهق او برص ، مبينيا بلهن التماثيل ، وصفوان التهاويل ، وهو لا يجن صاحبه عن النسيم فضلا عن الحرجف ، ولايقيه رقيق ريق الندى فضلا عن شؤبوب الكنهور (٢) ، وقد ملحته ملاحة الاسماء ، وانقد فيه الهوى ، واضطرمت فى جانبه نيران الجوى ، ولمع فيه البرق ، واستن فيه الودق ، وسفحت عليه الدموع ، وبان فيه الخشوع ، وهو " كسراب بقيمة يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا" لا يستحق صاحبه غير ان يكون تلعابة ، أو صاحب براعة " .

ومن الملاحظ ان الدكتور زكى مبارك قال (٣) ان ابن شهيد من انصار المعنى مستشهدا بقول ابن شهيد (٤) : " انما يستحق اسم الصناعة بتقحم بحور البيان وتعمد كرائم المعانى " .

ولكن الدكتور زكى لم يورد النص كاملا وانما اقتطع منه ما يوافق رأيه ولو أكمل النص لتبين ان الحقيقة غير ما ذهب اليه الدكتور زكى فتتمة قول ابن شهيد هى (٥) : " تعمد كرائم المعانى والكلام " . وكما وضحنا سابقا ان ابن شهيد يعنى

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٦

(٢) الكنهور من السحاب المتراكب الثخين قال الاصمعى وغيره هو قطع من السحاب امثال الجبال " ابن منظور . لسان العرب " الدار المصريه للتأليف والترجمه جـ ١٥ ص ٢١٧ " .

(٣) الدكتور زكى مبارك جـ٢ ص ٦٧ ــ ٦٨ .

(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٦

(٥) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٦

" بالكلام " الألفاظ فعلى هذا يكون الاستشهاد هنا فى غير موضعــه ·

ومن ما سبق يتبين لنا أن ابن شهيد فهم قضية اللفظ والمعنى فهما واضحا فادلى فيها بآراء تدل على حصافته ودقة ملاحظته ·

x x x x x

(السرقات الشعريه)

من القضايا التى اثارها ابن شهيد السرقات الشعريه وهى من اقدم المواضيع التى تنبه اليها النقاد فأكثروا فيها القول بل انها من المسائل التى شغلتهم فلا نكاد نجد كتابا من كتب النقد يخلو من الكلام عن موضوع السرقة ، واصبح كل منهم يناقش اقوال من سبقه ويزيد عليها بما يراه مناسبا فأخذوا فى تقسيمها وتبويبها ووضع تلك المصطلحات المتعددة لكل قسم فقالوا : الاصطراف ، والانتحال ، والاغارة ، والغصب ، والاختلاس الى غير ذلك (١) · وبعضهم يختلف مع الآخر فى التسمية أو يحرف فيها بقدر ما هداه تفكيره الى ذلك ·

ولا نعدوا الحقيقة اذا قلنا · ان السرقات الشعرية تمتد جذورها الى العصر الجاهلى ولكن على نطاق محدود فمثلا نجد بعض الابيات التى تدل على وجود السرقات الشعرية فى العصر الجاهلى (٢) يقول طرفة بن العبد :

ولا اغير على الاشعار اسرقها * عنها غنيت وشر الناس من سرقا

---

(١) لا يتسع المجال هنا لشرح كل مصطلح نظرا لكثرة الاختلافات بين النقاد فيما يقصدون بها ·

(٢) طرفه بن العبد · الديوان " دار صادر بيروت ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م ص٧٠

ويقول احسان بن ثابت[1] :

لا اسرق الشعراء ما نطقوا * بل لا يوافق شعرهم شعري

واغلب الظن ان السرقة كانت تعيب الشاعر وتنزل بمكانته فى ذلك الوقت لأنها تدل على ضعف القريحة وقلة الموهبة الابداعية ، ولكن هذه النظرة اختلفت فيما بعد عند كثير من النقاد امثال الآمدى الذى يقول[2] : " ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعانى من كبير مساوئ الشعراء " .

ويقول العسكرى[3] : " ليس لأحد من اصناف القائلين غنى عن تناول المعانى ممن تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم " .

اما القاضى الجرجانى[4] فانه ذهب يلتمس الاعذار للمتأخرين معتقدا ان من تقدم من الشعراء قد استغرق جميع المعانى واتى على معظمها . ولكن هذا القول لا يخلو من المبالغة لأن المعانى ليست محدودة ولكنها تتجدد وفقا لتجدد الأزمان والأمم ، كذلك ان العقل البشرى ليس فى مستوى واحد من التفكير وخير شاهد على ذلك ابن الرومى الذى أشتهر[5] باختراع المعانى وتوليدها على الرغم من انه عاش فى العصر العباسى اى قد سبقه كثير من الشعراء .

وبلغ من تهاون بعض النقاد بالسرقة انه يطلق عليها " استعارة " من باب التساهل والتخفيف .

---

(١) حسان بن ثابت . الديوان " دار صادر بيروت ١٩٧٤م " جـ ١ ص ٥٣ تحقيق الدكتور . وليد عرفات .

(٢) الآمدى . الموازنه " دار المعارف بمصر ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م " جـ ١ ص ٢٩١

(٣) ابو هلال العسكرى . الصناعتين " عيسى الحلبى مصر " ص ٢٠٢

(٤) القاضى الجرجانى . الوساطة " دار احياء الكتب العربية . مصر ط٢ (١٣٧٠هـ : ١٩٥١م " ص ٢١٤ـ٢١٥ (٥) ابن رشيق . العمده " مطبعة السعاده مصر ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م ط ٢ " جـ٢ ص ٢٤٤

ومن الملاحظ ان السرقة لا تتحقق فى الألفاظ والا لنفد الكلام واصبح من الصعب جدا اختراع الفاظ جديدة وانما تتحقق السرقة فى المعانى التى تنقسم قسمين : معانى مشتركه ومعانى مخترعه ، فأما الأولى فلا سرقة فيها لأنها مما تفطن اليه النفس البشرية دون الاحتياج الى من يلهمها ذلك مثل تشبيه الحسن (١) بالشمس والجواد بالبحر والشجاع بالأسد الى غير ذلك.

اما المعانى المخترعة فهى التى اصبحت وقفا على اصحابها فلم سبقهم اليها احد ففضل اختراعها يرجع اليهم مثل قول (٢) عنترة فى الذباب :

فترى الذباب بها يغنى وحده * هزجا كفعل الشارب المترنم

غردا يحك ذراعه بذراعه * فعل المكب على الزناد الأجذم

وفى هذه المعانى تتحقق السرقة بين الشعراء .

أما رأى ابن شهيد (٣) فى السرقة فيتلخص فى قوله : " اذا اعتمدت معنى قد سبقك اليه غيرك فاحسن تركيبه ، وأرق حاشيته فأضرب عنه جملة . وان لم يكن بد ففى غير العروض التى تقدم اليها ذلك المحسن لتنشط طبيعتك وتقوى منتك " .

---

(١) عبدالقاهر الجرجانى سمى هذا النوع " المشترك العامى " اسرار البلاغة " مطبعة المنار بمصر ط ٢ ١٣٤٤ هـ — ١٩٥٢ م " ص ٢٩٥ .

(٢) الجاحظ . الحيوان " مصطفى البابى الحلبى . مصر ط ١ (١٣٥٦هـ — ١٩٣٨م " ج ٣ ص ٣١٢

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٤٤ .

وهو رأى تفرد به ابن شهيد بين النقاد ويدل على ذكاء ولباقة لأن تغيير العروض يغير موسيقى البيت فيتحقق نوع من الاختلاف وهذا من انواع الحيلة او الاخفاء ، ولكن على الرغم من ذلك فان الناقد المثقف الملم بالاشعار لاتخفى عليه مثل هذه الأشياء فهو يستطيع ان يخرج البيت المسروق مهما حاول قائله ان يغير ويبدل فيه .

ولا يؤيد ابن شهيد اخذ المعنى الذى احسن فيه قائله فابدع تركيبه لأن الآخذ لا يضمن تفوقه على القائل او المبدع (١) ، وضرب لذلك مثلا بعمر بن ابى ربيعة الذى اراد أن يأخذ معنى امرئ القيس حين قال (٢) :

سموت اليها بعدما نام اهلها * سمو حباب الماء حالا على حال

فقال عمر (٣) :

ونفضت عنى النوم أقبلت مشية الـ * ـحباب وركنى خيفة القوم أزور

قال ابن شهيد (٤) : " الا ترى عمر بن ابى ربيعة ، وهو من اطبع الناس حين رام الدنو منه والالمام به كيف افتضح ... انه ساء قسمة البيت ، وارا د أن يلطف التوصل فجاء مقبلا بركن كركته أزور . وابن ابى ربيعة لو ركب غير عروضه لخلص فقلت انا فى ذلك :

ولما تملأ من سكره * فنام ونامت عيون العسس

دنوت اليه على بعده (٥) * دنو رفيق درى ما التمس

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٤٤

(٢) امرؤ القيس الديوان " الاستقامه . القاهره ط ٥ " ص ١٦١ حسن السندوبى

(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢٤٤ (٣) عمر بن ابى ربيعة . الديوان " دار صادر بيروت ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م " ص ١٢٣ .

(٥) فى رواية ابن سعيد الاندلسى " على قربه " وفى اعتقادى انها الأصح لأن الدنو يكون من القريب فى اغلب الاحيان . (ابن سعيد . عنوان المرقصات والمطربات ـ طبع على ذمة جمعية المعارف ص ٥٩) .

ادب اليه دبيب الكــــرى * واسمو اليـه سمو النفــس

وبت بـه ليلتى ناعمـــا * الى أن تبسم ثغــر الفلــس

اقبل منه بياض الطـــلا * وأرشف منه سـواد اللمــس

وابـن شـهيد ذكر المقطوعة السابقة بأكملها على الرغم ان الأخـذ لم يتحقق الا فى البيت الثالث وهو قوله : " ادب اليه دبيب الكرى .... الخ " . وهــو فى هذا الصدد يشير الى قضيــة فى غايــة الاهميــة وهى حسن الأخـذ وقبحـه وقد اوفى هذه القضيــة حقها ابو هلال العسكرى الذى عقد ا لكل منهما فصــلا خاصا به فى كتابه " الصناعتين " .

وتعرض ابن شـهيد ايضا الى الزيادة ومبلغ الحسن فيها بالنسبة للمعنــى المأخوذ فذكر فى رسالة " التوابع والزوابع " نصا يدور حول معنى عرفه المشارقــة وتردد فى كتبهم الحديث عنه قال : " قال ابو عامر (١) : وحضرت أنا أيضا وزهــير (٢) مجلسا من مجالس الجن ، فتذاكرنا ما تعاورتـه الشـعراء من المعانى ، ومـن زاد فأحسن الأخـذ ، ومن قصر . فأنشـد قول الأفـوه بعض من حضر :

وترى الطير على آثارنــا * رأى عين ، ثقـة أن ستمـار

وانشد آخـر قول النابغة (٣) :

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائـب

تراهن خلف القوم خزرا عيونهـا * جلوس الشيوخ فى ثياب المرانب

جوانح قد ايقن أن قبيلـه * اذا ما التقى الجيشان أول غالب

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤ .
(٢) زهير بن نمير وهو تابعة ابن شهيد الذى ذهب به الى ارض الجن .
(٣) النابغة الذبيانى . الديوان ص ٥٧ .

وانشد آخر قول ابى نواس : (١)

تتأيى الطير غدوتـه * ثقة بالشبع من جزره

وأنشد آخر قول صريع الغوانى : (٢)

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

وأنشد آخر قول ابى تمام : (٣)

وقد ظللت عقبان أعلامه ضحى * بعقبان طير فى الدماء نواهل

أقامت مع الرايات حتى كأنها * من الجيش الا أنها لم تقاتل

فقال شمردل السحابى (٤) : كلهم قصر عن النابغة ، لأنه زاد فى المعنى ودل على أن الطير انما أكلت أعداء الممدوح ، وكلامهم كلهم مشترك يحتمل أن يكون ضد ما نواه الشاعر ، وان كان ابو تمام قد زاد فى المعنى . وانما المحسن المتخلص المتنبى حيث يقول : (٥)

له عسكرا خيل وطير اذا رمى * بها عسكرا لم تبق الا جماجمه

وكان بالحضرة فتى حسن البزة ، فاحتد لقول شمردل . فقال : الأمر على ما ذكرت يا شمردل ، ولكن ما تسأل الطير اذا شبعت أى القبيلين الغالب . وأما الطير الآخر فلا ادرى لأى معنى عافت الطير الجماجم دون عظام السوق والأذرع والفقارات والمصاعص ؟ ولكن الذى خلص هذا المعنى كله ، وزاد فيه ،

---

(١) ابو نواس . الديوان " دار الكتاب العربى بيروت ص ٤٣١ " تحقيق احمد عبد المجيد الغزالى .

(٢) صريع الغوانى . الديوان " دار المعارف بمصر ١٩٧٠م ط ٢ " ص ١٢ تحقيق الدكتور سامى الدهان .

(٣) ابو تمام . الديوان بشرح الخطيب التبريزى " دار المعارف بمصر ١٩٧٠ ط٢ ج ٣ ص ٨٢ تحقيق محمد عبده عزام .   (٤) احد نقاد الجن .

(٥) المتنبى . شرح ديوان المتنبى لعبد الرحمن البرقوقى " دار الكتاب العربى بيروت " ج ٤ ص ٥٤ .

وأحسن التركيب ، ودل بلفظة واحدة على ما دل عليه شعر النابغة وبيت المتنبى ، من أن القتلى التى أكلتها الطير أعداء الممدوح ، فاتك بن الصقعب (١) فى قوله :

وتدرى سباع الطير أن كماته * اذا لقيت صيد الكماة سباع

لهن لماب فى الهواء وهزة * اذا جد بين الداعين قراع

تطير جياعا فوقه وتردها * ظباه الى الأوكار وهى شباع

تملك بالاحسان رقة رقها * فهن رقيق يشترى ويباع

وألحم من افراخها فهى طوعة * لدى كل حرب والملوك تطاع

تما صع جرحاها فيجهز نقرها * عليهم ، وللطير العتاق مصاع

فاهتز المجلس لقوله ، وعلموا صدقه . فقلت لزهير : من فاتك بن الصقعب قال : يعنى نفسه ".

وفى هذه المحاورة نرى أن ابن شهيد يخرج منها غالبا كما هى عادته فى انطباعه عن نفسه ولكن فى الحقيقة ان شعره فى الطير وان كان جميلا الا انه لم يبلغ الجودة التى بلغتها ابيات النابغة ومسلم بن الوليد وابى تمام والمتنبى ، وفى هذا دليل على أن بعض احكام ابن شهيد ذاتية تهدف الى اثبات شخصيته . واللذان احسنا غاية الاحسان فى المعنى هما النابغة وابو تمام لأنهما اهتما بكثرة الطير التى تدل على كثرة عدد القتلى وكذلك بيت المتنبى فيه شئ من ذلك . ولكن ابن شهيد لم يتنبه الى ذلك المغزى حينما تكلم عن هذه الابيات.

---

(١) اسم تابعة ابن شهيد اضافة الى تابعته الأول وهو زهير بن نمير الذى سار معه الى اراضى الجن .

ويبدو أن اعتبار الزيادة فى المعنى المأخوذ حسنة من الحسنات لم تكن مقتصرة على ابن شهيد بل اشار اليها غيره من النقاد ووضعوها فى نفس الموضع الذى جعلها فيه ومن هؤلاء ابن قتيبة[1] الذى قال : " وكان الناس يستجيدون للأعشى قوله[2] :

وكأس شربت على لذة * واخرى تداويت منها بها[3]

حتى قال ابو نواس :

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء

فسلخه وزاد فيه معنى آخر ، اجتمع له به الحسن فى صدره وعجزه ، فللأعشى فضل السبق اليه ، ولأبى نواس فضل الزيادة فيه " .

وعلى اى حال فانا نستطيع القول بان ابن شهيد قد فهم السرقة الشعرية فهما واضحا على الرغم انه لم يستعمل لفظة " سرقة " وانما استبدل بها لفظة " أخذ "[4] تساهلا فى امرها لأنه يرى أنها ليست عيبا يقدح فى مكانة السارق كما وضحنا ذلك سابقا .

---

(١) ابن قتيبة . الشعر والشعراء " دار احياء الكتب العربية ١٣٦٤هـ " جا ص ١٨
(٢) الاعشى . الديوان " دار صادر بيروت ١٩٦٦م " ص ٢٤ .
(٣) ابو نواس . الديوان ص ٦
(٤) اكثر النقاد لم يفرق بين السرقة والأخذ الا ان هناك بعض الاقوال التى تدل على ان هناك فرقا بينهما فمثلا يفرق الرندى بينهما ويجعل الأخذ فى ثلاثة مراتب : زيادة ، ومساواة ، وتقصير . " الوافى فى نظم القوافى لأبى الطيب الرندى / مخطوطة فى المكتبة التيموريه بمصر كتب عنها الدكتور محمد الداية فى كتابه تاريخ النقد الادبى فى الاندلس ص ٤٣٤ " .
وابن الاثير اشار الى ان هناك فرقا بين السرقة والأخذ فعالج كلا منهما منفردا " ابن الاثير . المثل السائر . مطبعة حجازى . القاهرة ١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥م ص ٣١٠ ـ ٣١١ . ولكن فيما يبدو ان السرقة تكون فى البيت بلفظه ومعناه كما اشار الى ذلك ابن رشيق حين قال : " من اخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقا " ابن رشيق ج ٢ ص ٢٨١ . اما الأخذ فانه يكون فى المعنى فقط . وعلى اى حال فان الأخذ اخف وطأة من السرقة ولفظه أقل عيبا .

وكانت اقوال ابن شهيد في هذا المجال جديرة بالتقدير وتدل على ثقافته الواسعة وتمكنه من اشعار العرب والاحاطة بها لأن تتبع السرقة والادلاء فيها لا يقوم به الا حفظ الكثير من الشعر وقراءه العشرات من الكتب.

ولا غرابة في اهتمام ابن شهيد بالأخذ او بالسرقة الشعرية لانها قضية عامة ومن السهل ان يفطن اليها كل ناقد وذلك خلافا لما يعتقده الدكتور احسان عباس حينما قال : (١) " وقد كانت مشكلة الأخذ هذه — فيما يبدو — من اكبر المسائل التي شغلت ابن شهيد ، لانها اساس من الاسس التي تعتمد عليها طريقته الشعرية" ولا أرى أن هناك سببا يدعو ابن شهيد الى الاهتمام بالأخذ اهتماما خاصا وانما هى قضية عامة شغلت النقاد منذ القدم حتى يومنا هذا .

---

(١) احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسى عصر سيادة قرطبة ص ١٤٢

الفصـــل الثانـــى

" الشاعر فى نقد ابن شهيـــــــــد "

كما تكلم ابن شهيد فى نقده عن الشعر لم يغفل الكلام عن الشاعر نفسه • فهناك بعض المؤثرات التى تؤثر على شخصيته وتكوينه الخلقى والنفسى فيظهر ذلك واضحـــا فى انتاجـه الادبـى •

وقد اهتم النقاد بالشاعر منذ القدم فقالوا : ذلك الشاعر ينحت من صخر وقالـــوا عن الآخـر انه يغرف من بحر ، وسموا بعض الشعراء فحلا وغير ذلك من الأقـــوال التى تدل على ان للشاعر اهتماما خاصا فى ميدان النقد •

ولايختلف اثنان فى ان دراسة حياة الشاعر والظروف التى احاطت به مهمة جـــدا فى فهم شعره وتفسيره على ضوء تلك الحياة التى عاشها • ومن اقوال النقاد ايضا فـــى هذا الصدد اجابة الذى سئل عن اشعر الشعراء فقال : اشعرهم امرؤ القيس اذا ركب ، وزهير اذا رغب ، والنابغة اذا رهب ، والأعشـــى اذا شرب مما يدل على أن الظـــروف والطبائع التى لازمت الشاعر ذات دخل كبير فى فتح الابواب امام الناقد ليصدر احكامـــا موضوعيـه صحيحـه •

فقد عالج ابن شهيد ناحيتين مهمتين فى الشاعر هما الطبع والصنعة وتأثير البيئـة وكان للنقاد الذين سبقوه وجهات نظر متعددة حول هذا الموضوع ولكنا نلمس شخصيـــة ابن شهيد واضحـــة وملموسة من خلال احاديثه ومناقشاته التى تعد على جانب كبيـــــر من الأهميـــة فى النقد الأدبـى •

الطبـــع والصنعـــــــــه

اكثر من تكلم فى مجال الطبع والصنعة اولئك النقاد الذين تناولوا ابا تمام والبحترى بالبحث والدراسة لأن كلا من هذين الشاعرين ينتمى الى احدى المدرستين " الطبـــع والصنعة " (١) ، فأبو تمام شاعر صنعة والبحترى شاعر طبع فاختلف النقاد فى تفضيـــــل احدهما على الآخـــر وبالتالى كثرت الأقوال وتشعبت الآراء حول هذه القضية .

وقد تغير مفهوم كل من الطبع والصنعة عبر العصور . ففى العصر الجاهلـــــس يقصد بالطبع الاستعداد الفطرى فقط ويقصد بالصنعة اعادة النظر وبقى هذا المفهوم سائدا حتى العصر العباسى ، ثم بدأت النظرة تتغير عند بعض النقاد ، وأخـــــذ مفهوم الطبع شكلا آخـــرا يختلف عن المفهوم الجاهلى واصبح يقصد به الاستعداد الفطرى الى جانب اعادة النظر بالصقل والدراسة ، واصبحت الصنعة تعنى كد الفكـــــــر واجهاد النفس فى ابداع الابيات ثم بعد ذلك اعادة النظر فيها (٢) .

وممن نظر الى الطبع فى مفهومه الجديد اى الاستعداد الفطرى الـــــــى جانب الصقل واعادة النظر القاضى الجرجانى والذى يمثل مفهوم عصره فى ذلـــــك الوقت قال (٣) : " وملاك الأمـــر فى هذا الباب خاصة ترك التكلف ورفض التعمـــــل والاسترسال للطبع ، وتجنب الحمل عليه والعنف به ، ولست اعنى بهذا كل طبـــع ،

---

(١) من الملاحظ ان ابن رشيق يعد البحترى من شعراء الصنعة " العمدة ١/١٣٠ " ولكن هذا يخالف ما اجمع عليه النقاد من ان البحترى شاعر طبع وليس شاعـــــر صنعة .

(٢) العرب عادة ما تشبه شعر الصنعه بالصانع الذى احكم صنعته من رماح أو سيوف او غير ذلك يقول عدى بن الرقاع :

وقصيدة قد بت اجمع بينهـــــا * حتى أقوم ميلها وسنادهـــــا

نظر المثقف فى كعوب قناتـــــه * حتى يقيم ثقافه منآدهــــا

الباقلانى . اعجاز القرآن " دار المعارف بمصر ط ٣ ١٩٧٢م " تحقيق سيد صقـــر ص ١٢٢ ـــ (٣) القاضى الجرجانى . الوساطة (دار احياء الكتب العربيـــة عيسى البابى الحلبى . مصر ١٣٧٢هـ ـــ ١٩٥١م ط٢ ص ٢٥) .

بل المهذب الذى قد صقله الأدب ، وشحذته الرواية ، وجلته الفطنة ، وألهم الفصل بين الردىء والجيد ، وتصور امثلة الحسن والقبح . ومتى اردت أن تعرف ذلك عيانا ، وتستثبته مواجهة ، فتعرف فرق ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضل ما بين السمح المنقاد والعصي المستكره فاعمد الى شعر البحترى " .

ومن تنبه الى ذلك ايضا المرزوقى حين قال : (١) " فمتى رفض التكلف والتعمل ، وخلى الطبع المهذب بالرواية ، المدرب فى الدراسة ، لاختياره ، فاسترسل غير محمول عليه ، ولا ممنوع مما يميل اليه ، أدى من لطافة المعنى وحلاوة اللفظ ما يكون صفوا بلا كدر ، وعفوا بلا جهد ، وذلك هو الذى يسمى " المطبوع " .

وشعر الطبع سابق على شعر الصنعة لأن العقلية العربية فى بدايتها كانت صافية عفوية غير معقدة ترضى بالخاطر الأول دون التعمق او الغوص الى اعماق الاشياء والذى يوافق مثل هذه العقلية هو شعر الطبع . ولا يفهم من هذا أن الشعر المطبوع سطحى الأفكار ولكن لأنه قريب من تلك النفوس السهلة التى لم تتعود التكلف فى جميع امورها من ملبس ومأكل ونوم وغير ذلك .

ومن لاحظ ان شعر الطبع سابق على شعر الصنعة ابن رشيق الذى قال : (٢) " ومن الشعر مطبوع ومصنوع ، فالمطبوع هو الأصل الذى وضع أولا ، وعليه المدار " .

وشعر الصنعة اخذ اشكالا مختلفة على مدى العصور الادبية فبدأ من مدرسة

---

(١) المرزوقى . شرح ديوان الحماسة " لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة ١٣٧١هـ ــ ١٩٥١م ط ١ " جـ ١ ص ١٢

(٢) ابن رشيق . العمده ١ / ١٢٩ .

أوس بن حجر وزهير والحطيئة حتى انتهى الى الحد الأقصى له على يد ابى تمام الشاعر العباسى المعروف والذى افرط فى صنعته افراطا جعل النقاد ينكرون عليه ذلك فقالوا[(١)] : " ابو تمام يريد البديع فيخرج الى المحال ".

والاختلاف فى مفهوم الصنعة بين النقاد كثير جدا ، فمنهم من ذهب الى ان شعر الصنعة هو التكلف والتعسف المذموم الذى يحط من شأن القصيدة ومن هؤلاء المرزوقى الذى قال[(٢)] : " ومتى جعل زمام الاختيار بيد التعمل والتكلف ، عاد الطبع مستخدما متملكا ، وأقبلت الأفكار تستحمله أثقالها ، وترد ده فى قبول ما يؤديه اليها ، مطالبة له بالاغراب فى الصنعة ، وتجاوز المألوف الى البدعة ، فجاء مؤداه وأثر التكلف يلوح على صفحاته ، وذلك هو " المصنوع " ".

ولكن الصنعة عند ابن قتيبة اكثر وضوحا وجلاء فنراه يقربها الى الافهام ويضعها فى موضعها الطبيعى قال[(٣)] : " ومن الشعر المتكلف[(٤)] والمطبوع : فالمتكلف هو الذى قوم شعره بالثقاف ، ونقحه بطول التفتيش واعاد فيه النظر بعد النظر ، كزهير والحطيئة ".

ويوافقه فى ذلك ابن رشيق[(٥)] الذى يرى أن خير صنعة هى التى تكون مثل صنعة زهير صاحب الحوليات.

---

(١) الآمدى . الموازنه " دار المعارف بمصر ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١م " ص ١٩

(٢) المرزوقى . ص١٢

(٣) ابن قتيبه . الشعر والشعراء ص ٢٣

(٤) لا يقصد ابن قتيبه المعنى المعروف للكلمه وهو التعسف وانما يقصد : الروية والأناة.

(٥) ابن رشيق ١٠ / ١٢٩

وفى الواقع ان الصنعة المستحبة هى التى تكون فى حدود المعقول . اما اذا افرط الشاعر فى اقتناص الاستعارات والكنايات والطباق الى الحد الذى تشمئز منه النفوس وينفر الذوق منه فذلك ليس مرغوبا فيه .

وطالما ان شعر زهير والحطيئه يعد من الصنعه فانا لا نرى فيه ذلك التكلف والتعسف الذى وجد عند ابى تمام ومن على شاكلته حتى اصبح كلامهم يشبه الطلاسم . وقد سئل ابو تمام (١) : " لم لا تقول من الشعر ما يفهم ؟ فقال له : وانت لم لا تفهم من الشعر ما يقال ؟ " . ولكن هذا حسن تخلص لا يعطى الجواب المطلوب . وممن انكر ذلك ايضا عبد القاهر الجرجانى (٢) قال : " وقد تجد فى كلام المتأخرين الآن كلاما حمل صاحبه فرط شغفه بامور ترجع الى ماله اسم فى البديع الى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ، ويقول ليبين ، ويخيل اليه أنه اذا جمع بين أقسام البديع فى بيت فلا ضير أن يقع ما عناه فى عمياء ، وأن يوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء ، وربما طمس بكثرة ما يتكلفه على المعنى وافسده كمن ثقل العروس باصناف الحلى حتى ينالها من ذلك مكروه فى نفسها (٣) " .

اما موقف ابن شهيد (٤) من الطبع والصنعة فيحدده النص الذى قال فيه :
" وانما يتبين تقصير المقصر ، وفضل السابق المبرز ، اذا اصطكت الركب ،

---

(١) ابن رشيق ١/١٣٣
(٢) عبد القاهر الجرجانى . اسرار البلاغة " مطبعة المنار ط ٢ ١٣٤٤هـ — ١٩٢٥م " ص ٦
(٣) حدد بعض النقاد الصنعه بالبيت والبيتين فى القصيدة الواحده واذا زادت عن ذلك فهى عيب يقدح فى مكانه الشاعر . ومن هؤلاء ابن رشيق قال : " — واستطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين ... فأما اذا كثر ذلك فهو عيب " ابن رشيق ١/١٣٠
(٤) ابن بسام : ١/١ ص ٢٠٩

وازدحمت الحلق ، واستمجل المقال ، ولم توجد فسحة لفكرة ، ولاامكنت نظرة لروية ، أو فى مجالس الملوك عند انسها وراحتها ، فانه يقع فيها ، ويجرى لديها ، مالا ينفع له الاستعداد ، ولاينفذ فيه غير الطبع والغريزة المتدفقة. فترى الجواد السابق (١) اذ ذاك متشوفا بأذنه باحثا لكديد الاحسان بيده ، طامح النظر ، صهصلق الصهيل ، واهل الصنعة خرس لا يسمع لهم جرس ، ولا شىء عندهم غير حسو الكأس ، وشم الآس ، وتنفس الصعداء ، وقد اصفرت الوانهم ، وقلصت شفاههم كأنهم من رجال عذرة ".

فهنا يؤيد ابن شهيد الطبع او بالاحرى ما يسمى بشعر الارتجال وخاصة فى المواقف التى تصطك فيها الركب وتزدحم الناس لرؤية المغلوب من الغالب فى هذه المناقشات ، لأن الموقف لا يسمح بالتروى والنظر .

وقد فهم ابن شهيد الطبع هنا كما فهمه الجاهليون وهو الاستعداد الفطرى دون اعادة النظر .

ولكن هناك نصا آخرا لابن شهيد يكاد يكون متعارضا مع نصه السابق مما جعل بعض النقاد يتهمه بالتناقض والتذبذب . قال ابن شهيد فى رساله " التوابع والزوابع " على لسان تابعة ابى تمام (٢) : " ان كنت ولابد قائلا ، فاذا دعتك نفسك الى القول فلا تكد قريحتك ، فاذا اكملت فجمام ثلاثة لا أقل . ونقح بعد

---

(١) لقد وفق ابن شهيد فى تشبيهه شاعر الطبع بالحصان السابق لما بينهما من تقارب.

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢١٩

ذلك ، وتذكر قوله :[1]

وجشمني خوف ابن عفان ردهـا * فثقفتها حولا كريتا مربما

وقد كان في نفي عليها زيادة * فلم ار الا ان اطيع واسمعا " .

وفي الحقيقة ان ابن شهيد يؤيد الطبع في موقف معين ويؤيد الصنعة في موقف آخر . ففي مثل المناظرات الادبية والمحاورات الشعرية ومجالس الانس عند الملوك[2] وما شابه ذلك لا يجدى الاشعر الطبع الذى يلائم مثل هذه المواقف . ولكنه لا ينكر على الشاعر التنقيح والتروى اذا كان لديه متسع من الوقت يسمح بتنقيح قصيدته والنظر في ابياتها ليكون بعيدا عن الزلل الذى يقع فيه المتعجل من الشعراء .

ويجب أن لا ننسى ان ابن شهيد في نصه السابق يتحدث بلسان ابى تمام متقمصا شخصيته كما يفعل عادة مع تابعه كل شاعر يقابله . ولابن شهيد ايضا رأى في الصنعة يكاد يكون معتدلا وقلما نجده عند غيره من النقاد الذين يتعصبون تعصبا شديدا لأحد المذهبين ويرمون المذهب الآخر بالتقصير والنقصان قال ابن شهيد :[3] " وكذلك الشعراء انتقلوا عن العادة في الصنعة بانتقال الزمان ، وطلب كل ذى عصر ما يجوز فيه ، وتهش له قلوب اهله ، فكان من صريع الغوانى وبشار وابى نواس واصحابهم في البديع ما كان ،

---

(١) البيتان لسويد بن كراع الشاعر الأموى .

(٢) لقد اشتهرت الاندلس بمجالسها الادبيه والغنائيه ومن يقرأ كتب التاريخ والادب التى تتحدث عن الاندلس يجد شيئا كثيرا من ذلك .

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٣

من استعمال افانينه ، والزيادة فى تفريع فنونه . ثم جاء ابو تمام فأسرف فى التجنيس ، وخرج عن العادة . وطاب ذلك منه ،وامتثله الناس ، فكل شعر لا يكون اليوم تجنيسا أو ما يشبهه تمجه الآذان ، والتوسط فى الأمر اعدل ، ولذلك فضل اهل البصرة صريع الغوانى على ابى تمام لأنه لبس ديباجة المحدثين على لأمة العرب ،فتركب له من الحسن بينهما ما تركب " .

وهذا بلا شك يدل على اتزان شخصية ابن شهيد النقدية وثقافته الواسعة التى جعلته يرسم خطا بيانيا لمذهب الصنعة ينتهى الى الاسراف والخروج عن العادة عند ابى تمام حتى ان بعض شعره استغلق على افهام الناس ـ كما اشرنا الى ذلك سابقا ـ ويقف ابن شهيد من هذا الاتجاه موقفا وسطا وهو الاعتدال فى استعمال البديع من طباق وجناس واستعارة لأن ما يخرج عن حده قد ينقلب الى ضده .

واخيرا نستطيع القول بان ابن شهيد يؤيد الطبع فى مكانه المناسب وكذلك لا ينكر قيمة الصنعة المعتدلة التى لا تخرج عن الحدود الطبيعية لها .

(أثر البيئة فى الأديب)

لقد فهم ابن شهيد تأثير البيئة على الأديب واهميتها فى تكوين نفسيته وانعكاس ذلك كله على انتاجه الادبى فقال : " واصل قلة هذا الشأن (١) عدم البيان فساد الازمنة ونبو الامكنة " .

وفى هذا دليل ان ابن شهيد يعطى البيئة اهمية خاصة فى تقدير ادب الاديب فهو اذا عاش فى بيئة نشطة من الناحية العلمية والادبية وتوفرت لها اسباب الرقى الثقافى فى جميع المجالات خرج بنفسية ذواقة صافية تأثرت بما سمعت ورأت كما هو الحال فى عصر ابن شهيد نفسه فان الحركة العلمية فى قرطبة فى ذلك الوقت كانت فى ذروة عزها وشرخ شبابها بل كان الناس يتفاخرون بالمكاتب واقتناء الكتب النفيسة .

اما اذا عاش الاديب فى بيئة فاسدة خاملة لا يتوفر فيها نشاط ادبى وعلمى خرج بنفسية انعكست عليها آثار تلك البيئة فجعلت حظها من النجاح قليلا ، واقرب دليل على ذلك فترة عصر الانحطاط التى تردى فيها الادب العربى حتى بلغ الحضيض ، فانا اذا استعرضنا ادب تلك الفترة وجدنا انه يعتمد على الجناس الحظ والطباق المفرط والتعقيد اللفظى الذى تسأم منه النفس البشرية وكل ذلك صدى للبيئة المعقدة التى عبرت عنها نفسية اديبها .

وهذا الرأى لم يكن غريبا او جديدا على عالم النقد كذلك لم يكن لابن شهيد فضل السبق اليه وانما تكلم عن البيئة واثرها نقاد سبقوا ابن شهيد

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٧٩ .

يقرون امثال ابن سلام الجمحى والجاحظ والجرجانى وغيرهم . بل ان هذا العامل بالذات كان فى بعض الاحيان يعد مقياسا لجودة الشعر ورداءته كما يروى لنا صاحب الموشح فيقول[1] : " اتى عمر بن ابى ربيعة الفرزدق فأنشده من شعره ، وقال كيف ترى شعرى ؟ قال : ارى شعرا حجازيا ان انجد اقشعر . فقال له : حسدتنى . فقال : يا بن اخى ، علام احسدك ؟ أنا والله اعظم منك فخرا ، واحسن منك شعرا ، واعلى منك ذكرا " .

وهذا النص يذكرنا بقاعدة سار عليها اكثر النقاد ومنهم ابن شهيد وهو حكمهم بان شعر البادية اجود من شعر الحاضرة ، لما فيه من قوة وفخامة وجزالة ومن اولئك ابن سلام الجمحى الذى اتخذ هذه القاعدة مقياسا لأحكامه على شعر الشعراء فهو يقول[2] : " واشعار قريش اشعار فيها لين فتشكل بعض الاشكال " ويقول فى موضع آخر[3] : " عدى بن زيد كان يسكن الحيرة ويراكن الريف ، فلان لسانه وسهل منطقه فحمل عليه شئ كثير " .

وهذه القاعده وان كانت تعتبر تيارا عنيفا يشكل قوته النقاد الأوائل الا انها كانت مثارا للنقاش والأخذ والرد يقول الدكتور محمد مندور[4] : " والواقع انه اذا كان ابن سلام مصيبا فى نظرته الى انتحال الشعر ، فانه اقل اصابة فيما عدا ذلك ... ولين شعر عدى بن زيد لا يكفى لتعليله قوله : " أنه سكن

---

(١) المرزبانى . الموشح " دار نهضة مصر ١٩٦٥م " تحقيق على محمد البجاوى ص ٣٢٢ .

(٢) ابن سلام الجمحى . طبقات فحول الشعراء " مطبعة المدنى القاهرة " ج ١ ص ٢٤٥ .

(٣) ابن سلام . ج ١ ص ١٤٠

(٤) الدكتور محمد مندور . النقد المنهجى عند العرب " دار نهضة مصر القاهرة " ص ٢١

الحيرة وراكن الريف " . والا حرنا فى تعليل " تحت الفرزدق من صخر " و "اغتراف جرير من بحر " . "

وفيما يلوح لى أن الدكتور مندور فهم القضية من زاوية ضيقة محدودة لانه اغفل معايير ذلك العصر وحكم عليها بمعياره هو فالبيئة البدوية فى عصر ابن سلام كانت افصح (١) من البيئة الحضرية فى ذلك الوقت . لأن الحضر اختلطوا بغيرهم من الاعاجم والمولدين فضعفت السنتهم وقرائحهم مما دعاهم الى ان يذهبوا بابنائهم الى البادية معدن الفصاحة وخير مثل على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى تربى فى بيئة بنى سعد افصح العرب واقدرها على امتلاك ناصية البيان كما افتخر عليه الصلاة والسلام بذلك .

وفى هذا المجال بالذات يقول ابن شهيد (٢) : " كانت الملوك تعدل بنيها عن التنعم الى شظف العيش ، وتدنى محالهم من البادية ، وتبوئهم منازل الفصاحة ، لتحتد افئدتهم ، وتنعقد السنتهم " .

ولكن من الملاحظ أنه قد يكون هناك اختلاف فى المفاهيم بين البيئتين الحضرية والبدوية من ذلك القصة المشهورة والتى تنسب الى على بن (٣) الجهم عندما

---

(١) بنت الشاطئ " ترى عدم وجود فارق بين البيئة البدوية والبيئة الحضرية فى العصر الجاهلى . ولكن هذا الكلام مردود لأن الفوارق بين البيئتين واضحة امام الاعيان لاتحتاج الى اثبات او برهان . " قيم جديدة للادب العربى دار المعارف ١٩٦١م " ج ١ ص ٢٤

(٢) ابن بسام ١/١ ص ١٩١

(٣) محى الدين بن العربى . محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار " بتصرف " مطبعة السعاده بمصر ط ١ ١٣٢٤ هـ ــ ١٩٠٦م " ج ٢ ص ٠٣

دخل على المتوكل الخليفة العباسي وهو جالس في مجلسه وكان ابن الجهم بدويا[1] جلفا عاش في الصحراء فاثرت فيه بيئتها فخاطب الخليفة قائلا :

انت كالكلب في حفاظك للـــود * وكالتيس في قــراع الخطــوب

انت كالدلو لا عدمناك دلـــوا * من كبار الدلا كثير الذنـــوب

فاراد الحضور قتله ولكن الخليفة منعهم قائلا : انه اراد المدح ولكـــن بيئته اثرت فيه . ثم انه امر ان يبني له قصر على شط الفرات فعاد اليه بعد عــام تقريبا فاستنشده الخليفة فانشد على بن الجهم قصيدته المشهورة والتي مطلعها :ـ

عيون المهابين الرصافـة والجســر * جلبن الهوى من حيث ادري ولا ادري

وعود على بدء نقول ان ابن شهيد قد فهم تأثير البيئـة على الاديب في اوضح صوره واكمل وجـه[2] كما هو واضح من خلال اقواله . كذلك لابن شهيد رأى فــي الحرب واثرها على الادب والادباء قال :[3] " وان الفتنة نسخ للاشياء ، مــن العلوم والأهــواء ، ترى الفهم فيها بائر السلعة ،خاسر الصفقة ،يلمح بأعـــين الشنآن ويستثقل بكل مكان . هذا دأبنا وحربنا " .

---

(١) هذه القصة وان كانت تدل على أن للبيئـة اثرا كبيرا في اختلاف المفاهـيم الا انها في نظري ليست على جانب كبير من الصحـة في نسبتها الى علــي بن الجهم لأنه لم يكن بدويا كما جاء في الرواية وانما ولد في بغداد وفــي حي يدعى جليل وتربى في بيئة كلها علم ورئاســه ودخل في صباه كتاتيـب العلويين وكان اخوه مقربا عند المأمون الخليفة العباسي . فمن اين تأتيـه البداوة !؟ " انظرعبد الرحمن الباشا . على بن الجهم حياته وشعره " .

(٢) لم يشر احد من النقاد الذين تكلموا عن ابن شهيد الى فهمه لتأثير البيئـــة الا الدكتور احمد هيكل فانه قد اشار الى ذلك اشارة عابره . " الأدب الاندلسي دار المعارف بمصر ٦٢ . " ص ٣٩٦

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٧٩ .

الذى كان منشطا لطبيعة تلك الحروب مثل الشعر الجاهلى بين القبائل العربيـــة القديمة والاكيف نفسر بعض المعارك والفتن التى لم تواكبها الحركة الا دبيـــة مثل تلك الحروب الدامية فى عصر الدويلات والتى كان محصولها الشعرى قليـــلا جدا • كذلك القضيـة الفلسطينيه التى لا نكاد نلمس لها اى اثر فى الادب العربى ما عدا بعض القصائد التى تتحدث عن الظلم والتوجد •

ولو استعرضنا كتب التاريخ لتبين لنا أن المعارك والحروب التى خاضهـــا المسلمون والعرب تفوق الحصـر ولكن ليس لأكثرها صدى فى الادب العربى •

ولكن على الرغم من ذلك كله فانا لانستطيع القول بأن ابن شهيد اوغيـــره من الادباء كانوا صامتين تماما اثناء الفتنـه وانما قد حدث من نشاطهم الادبـى كذلك انا نجدهم فى بعض الاحيان يتحدثون عنها اما نثرا او شعرا يقول شهيد (١) :

افى كل عام مصرع لعظـــيم * اصاب المنايا حادث وقديمى

ويقول فى موضع آخـر (٢) :

يا كسرة دهمتنا ليس تنجـــبر * وسبة لحقتنـا مالهـا عـــذر

---

(١) ابن بسام ١/١ص ٢١٨
(٢) ابن بسام ١/١ ص ١٨٩

(الفصل الثالث)

" ثقافة الناقد "

١ـ النحو :

لم يحدد الكتاب موقف ابن شهيد من النحو تحديدا دقيقا واضحا . فبعضهم تكلم عن آرائه فى هذا الموضوع ضمن الكلام عن البيان فلم يكشف عن الموقف الحقيقى لابن شهيد من النحو بل اكتفى بالاجمال فقط . ومما لا شك فيه ان الاجمال فى مكان التفصيل ليس مرغوبا فيه .

والبعض الآخر اتهم ابن شهيد بأنه تحامل على النحويين واللغويين فصغر من شأنهم وشأن مؤلفاتهم . ولكن فيما يبدو أن هؤلاء فهموا آراء ابن شهيد فى النحو على غير وجهها الصحيح فاظهروه بمظهر المسىء الى النحو والى اللغة العربية بصفة عامة .

وسنحاول هنا ان نناقش هذه الآراء مناقشة موضوعية لنحدد بذلك موقف ابن شهيد من النحو تحديدا دقيقا معتمدين على اقواله فى هذا المجال .

قال ابن شهيد (١) : " واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب واستيفاء مسائل النحو (٢) بل بالطبع مع وزنه من هذين " .

ويقول فى موضع آخر (٣) : " وقول الجاحظ : انا اذا اكترينا من يعلم صبياننا النحو والغريب قنع منا بعشرين درهما فى الشهر ، ولو اكترينا

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٩٧

(٢) هذا تعبير ابن شهيد ويقصد به ان النحو واللغه يجب ان تكون بمقدار معين لدى صاحب الموهبة .

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٩٨

من يعلمهم البيان لما قنع منا بألف درهـم " .

فكثير من النقاد اعتمد على القولين السابقين او على غيرهما من اقوال ابن شهيد فقال انه قلل من شأن النحو واللغة واستهان بالنحويين واللغويين .

ولكن اذا انعمنا النظر فى أقوال ابن شهيد فى هذا الصدد نجد انه يريد ان يقول ان من اعتقد ان البيان محصور فى تعلم النحو واللغة فاعتقاده خاطئ لأن النحو واللغة يأتيان عن طريق الحفظ والدراسة بينما البيان يتمدى ذلك الى شئ ربانى وهو الموهبة او السليقة التى لا تتوفر فى كثير من الناس ولا تأتى ايضا عن طريق التعليم وانما يمنحها الله سبحانه وتعالى فيخص بها اناسا دون آخرين وهذه الموهبة اذا وجدت واتزن معها علم النحو واللغة وجد البيان .

فنلاحظ ان ابن شهيد فى النص الأول يلتفت الى تلاميذه او الى جلسائه الذين كانوا يرتادون مجلسه طلبا للفائده ليقول لهم : اعلموا أنكم اذا طلبتم البيان عن طريق حفظ الغريب من الكلمات والتعمق فى مسائل النحو الشائكة فانكم مخطئون لأن البيان لا يتأتى بهذه الطريقة والالأصبح كل من تعلم النحو واللغة اديبا وهناك فرق كبير بين الأديب والعالم واقرب دليل على ذلك شعر علماء اللغة امثال الخليل ابن احمد الفراهيدى الذى كان شعره فى غاية الركاكة ولكنه مع ذلك من خيرة علماء العربيه . ويجب الا ننسى ايضا ان النحو وجد بعد البيان لأن هناك شعراء وخطباء فى العصر الجاهلى وصدر الاسلام والنحو — كما يقال — لم توضع قواعده الا فى القرن الأول الهجرى .

كذلك ان النحو بوصفه صناعة منفصل عن البيان منذ نشأته ويدل على ذلك قول الشاعر :

ولست بنحوى يلوك لسانه * ولكن سليقى اقول فاعرب

واما القول الثانى فانه بلاشك رأى يستحق التقديـر وهو مؤيـد للأول او رده ابن شهيد كدليل او برهان يقوى به حجتـه • ويقصد به ان تعلم النحــو يتساوى فيه المتعلمون مع اختلاف درجات فهمهم لأنه شئ مكتسب مثله فـى ذلك مثل اى علم من العلوم الاخـرى التى تعتمد على الحفظ والفهم والدراسة ولكن البيان من المستحيل تعليمه اذا لم تكن هناك موهبـة تخلق مع الشخــص وتنمو معه فى فترات نمـوه •

وقوله : " لما قنع منابالف درهم " ليس معناه ان الأمـر يتوقف علــى كثرة الدراهم او قلتها ولكن لأنه شئ صعب جدا اذا لم يكن من المستحيــل ان تجعــل من انسان ليست عنده موهبـة بيانيه اديبا مرموقا •

كذلك يجب ان نعلم ان النحو عند ابن شهيد وسيلة الى غايـة اخــرى وهى سلامة التركيب وبيان المعنى المراد ، وليس هو غايـة فى ذاته كما اعتقــد بذلك المعلمون فى قرطبة فزعموا ان البيان يتم بتعلم النحو واللغة فعلمــوا التلاميذ ذلك واوهموهم أنهم من ارباب الفصاحـة واصحاب البلاغة ، فجــاء كلامهم متكلفا غثا خاليا من عناصر البيان الصحيحـه •

ولم يكن هذا الرأى من ابتكار ابن شهيد وانما هو الهدف المقصــود من وضع النحـو فى الأصـل وهو عصم اللسان عن الخطأ ، ثم تطورت تلــك القواعد والقوانين حتى اصبحت عند البعض غايـة فى ذاتها •

يقول ابن شهيد فى رسالـة التوابع والزوابع مناظرا اوزة من اوز الجن فــى هذا المجال :(١) " فقالت : ايها الفـار المغرور ، كيف تحكم فى الفروع وانــت

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٥٥

لا تحكم الأصول ؟ ما الذى تحسن ؟ قلت : ارتجال شعر ، واقتضاب خطبة ، على حكم المقترح والنصبه ، قالت : ليس عن هذا اسألك ، قلت: ولا بغير هذا اجاوبك ، قالت : حكم الجواب ان يقع على اصل السؤال ، وأنا انما اردت بذلك احسان النحو والغريب اللذين هما اصل الكلام ، ومادة البيان : قلت : لا جواب عندى غير ما سمعت " .

فقد نظر الى النحو على انه مقدمة ضرورية لتحقيق البيان ولكن لم يكن مقصودا فى ذاته . ولذلك يعرض ابن شهيد ببعض معلمى قرطبة فى قوله (١) : " وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن اتى على اجزاء من النحو ، وحفظ كلمات من اللغة ، يحنون على اكباد غليظه ، وقلوب كقلوب البعران ، ويرجعون الى فطن حمئة (٢) ، واذهان صدئة ، لا منفذ لها فى شعاع الرقة ، ولا مذ ب لها فى انوار البيان " .

ومما يجب ملاحظته ان ابن شهيد اعترض على معلمى قرطبة ونحاتها المعاصرين له فانتقد طريقتهم فى تدريس البيان وتأكيدهم على جعل علم النحو غاية لا وسيلة ، ولكنه لم يعترض على علم النحو ذاته ولم يغفل اهميته ، كذلك أنه لم

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٥

(٢) ابن شهيد لم يكن اول من هاجم المعلمين وانتقد طريقتهم واستهتر بهم بل سبقه الى ذلك الجاحظ الذى الف كتبا فى هذا الشأن وصنف رسائل فى ذلك المضمار وأخرجهم فى صورة مثيرة للضحك والسخرية . ولكن نقد ابن شهيد للمعلمين يختلف عن نقد الجاحظ لهم فابن شهيد كان نقده ناتجا عن اثر خصومات ومصادمات وعوامل شخصية دعته الى ذلك النقد بينما الجاحظ كاتب عبقرى أراد ان يلم بكل شئ محيط به فى عصره فألف فى الحيوانات وفى البخلاء وفى الحمقى والمغفلين والبرصان والعرجان والف كذلك فى المعلمين ولسنا فى مجال المقارنه بين نقد ابن شهيد للمعلمين ونقد الجاحظ لهم وانما اردنا ان نعطى فكرة ميسرة ..... استدعاها الموقف .

لم يقلل من شأن النحويين المشهورين امثال سيبويه والفراهيدى كما ذهب الى ذلك الاستاذ يعقوب زكى حينما قال : " نراه يهاجم بشدة كل المعلمين ، حتى علماء النحو المشهورين من امثال سيبويه ويهاجم الكتب ." (١)

وفيما يبدو ان الاستاذ يعقوب زكى اعتمد على قول ابن شهيد فى رسالة " التوابع والزوابع " حينما كان يناظر صاحب ابن الا فليلى فقال : (٢) " قال : فطارحنى كتاب الخليل . قلت : هو عندى فى زنبيل . قال : فناظرنى على كتاب سيبويه قلت : خريت الهر عندى عليه ، وعلى شرح ابن درستويه " .

ويقصد ابن شهيد هنا انه لكثرة قراءته لهذه الكتب وفهمه اياها فهما جيدا اصبح لا يحتاج اليها فوضعها فى الزنابيل او فى اماكن اخرى . وهناك اقوال لابن شهيد نفسه تؤيد ذلك وتدحض التهمة الموجهة اليه . ففى رسالة " التوابع والزوابع " ذاتها ما يشير الى هذا فقد سأله تابعة الجاحظ عن صفة كلام قومه فاجابه ابن شهيد بما يدل على ايمانه بان النحو مقدمة ضرورية لتحصيل البيان . وقد جرى الحوار على النحو التالى : (٣) "فكيف كلامهم بينهم ؟ قلت : ليس لسيبويه فيه عمل ، ولا للفراهيدى اليه طريق ، ولا للبيان عليه سمة . انما هى لكنة اعجمية يؤدون بها المعانى تأدية المجوس والنبط فصاح . انا لله ، ذهبت العرب وكلامها ! "

فهل من المعقول ان من يقيس فصاحة العرب وكلامها بعمل سيبويه وطريق

---

(١) يعقوب زكى . مقدمة الديوان ص ٦٨
(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٣٤
(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٢٩

الفراهيدى يعود فيذمهما او يذم احدهما ويقلل من قدره { ؟ كذلك ان ابن شهيد يمجد النحو ويعلى من قدره بل يعده اساسا من اسس البيان لا تتم الفصاحة الا به قال (١) : " وكما تختار مليح اللفظ ورشيق الكلام فكذلك يجب أن تختار مليح النحو ، وفصيح الغريب ، وتهرب من قبيحه " .

وفى هذا دليل قطعى على ان ابن شهيد يوجد علاقة قوية بين النحو والبيان لا تتم سلامة التركيب الا بها ولاتستكمل فصاحة الكلام الا بوجودها .

ومما تجدر الاشاره اليه فى هذا المقام مناقشة الدكتور زكى مبارك فى حكمه على ابن شهيد حينما قال (٢) : " ولكنه غلب على امره فصرح بشكواه من قلة انصاف النحويين له وتسلطهم عليه واسرافهم فى ثلبه . فلنفهم هذا جيدا قبل عرض آرائه لندرك ان اقواله مشربة بالضغن والحقد ، وأنه لا ينبغى أن نتخذها اساسا صالحا لتقدير العلوم العربية من نحو وصرف واشتقاق : لأن تلك العلوم ضروريه ، وليس من النصف ان نوافق ابن شهيد على الاستهانة بها وتحقير اهلها ، وان كنا نعرف انها لا تكفى وحدها لمنح طلاب الادب ملكة البيان " .

ومن العجيب حقا ان هذا الاتهام الذى وجهه الدكتور زكى مبارك الى ابن شهيد لا يستند على اى دليل ولايعتمد على اى برهان .

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٩٩

(٢) الدكتور زكى مبارك جـ ٢ ص ٥٩

وان كنا لا ننفى عن ابن شهيد خصوماته الشخصيه مع النحاة والتى دعته الى انتقامهم واظهارهم بالمظهر الساخر ولكننا ننفى عنه هجومه على علم النحو — كما زعم الدكتور زكى مبارك — لأن ابن شهيد ليس من الغفلة بحيث يهاجم علما اعتمد عليه فهم كتاب الله عز وجل ولو فعل ذلك لا نبرى له علماء المسلمين واوقفوه عند حده (١) ٠

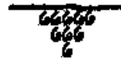
ولكن يزيد الامرعجبا حينما نرى الدكتور زكى مبارك يناقض اقواله فى اقل من صفحتين وذلك عندما قال (٢) : " وليس انحاء ابن شهيد على النحو والغريب معناه انه ينكر قيمة ذلك فى البيان ، كلا ، وانما يحتم ان يختار الكاتب املح النحو وافصح الغريب ٠ وملاحة النحو هذه لم ارها عند احد غير ابن شهيد ، وهو يريد بها اختيار الوضع النحوى الذى يساعد على اداء المعنى ، فقد يكون الكلام مستقيما من الوجهة النحوية ولا يكون مستقيما من الوجهة البيانيه فان البلاغة فى الواقع تبنى على سلامة التركيب " ٠

---

(١) يقول عبد القاهر الجرجانى فى هذا الصدد : " وأما زهدهم فى النحو واحتقارهم له واصغارهم امره وتهاونهم به : فصنيعهم فى ذلك اشنع من صنيعهم فى الذى تقدم ، واشبه ما يكون صدا عن كتاب الله وعن معرفة معانيه ٠ ذلك لأنهم لا يجدون بدا من ان يعترفوا بالحاجة اليه فيه ٠ اذ كان قد علم أن الالفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الاعراب هو الذى يفتحها ، وأن الاغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها ٠وأنه المعيار الذى لا يتبين نقصان كلام ورجحانه حتى يعرض عليه ، والمقياس الذى لا يعرف صحيح من سقيم حتى يرجع اليه " ٠ دلائل الاعجاز " دار المنار بمصر ١٣٦٧هـ ط ٤ " ص ٢٣ ٠

(٢) الدكتور زكى مبارك ج١ ص ٦١

وفى الختام نستطيع القول بان موقف ابن شهيد من النحو لم يكن موقفا هجوميا او انكاريا لتلك القيمة التى يقدر بها النحو ولكنه كان ناقما على نحاة قرطبة فهاجمهم واستهتر بهم فظن البعض انه هاجم النحو وقلل من شأنه فكما وضحنا سابقا ان الرجل يعلى من مكانة النحو الذى يعد حجر الاساس لجميع علوم اللغة العربية •



٢ـ ما يجب على الناقد مراعاته :

ويبين ابن شهيد ان على الناقد ان يلتزم ببعض المبادئ التي تسهم في تقويم العمل الفني كي يخرج حكمه (١) سليما بعيدا عن الزلل . فقال : " ومن الواجب على الناقد ان يبحث عن الكلام ، ويفتش عن شرف المعاني ، وينظر مواقع البيان ، ويحترس من حلاوة خدع اللفظ ، ويدع تزويق التركيب ، ويراطل بين أنحاء البديع ، ويمثل اشخاص الصناعة " .

وهذه النصائح قيمة وجديرة بالاهتمام تدل على حصافة ذهن ابن شهيد ورسوخ قدمه في هذا الميدان . وهو يسوقها بطريقة تشبه طريقة بشر بن المعتمر في صحيفته المشهوره . وليس بعيدا ان يكون ابن شهيد قد افاد منه في ذلك .

فيوصي ابن شهيد الناقد بأن ينظر الى جمال اللفظ وشرف المعنى وهما الركيزه الأولى للأدب وبهما يقوم الاديب وانتاجه الادبي .

كذلك يستحسن في الناقد ان يكون ذكيا نافذ البصيرة فلا يخدع بحلاوة الألفاظ وزخرفتها ورنينها البراق الذي يراه من اول وهله وانما يجب عليه ان ينظر ويتمعن في ما تحمله من معاني وافكار . وهذا يؤيد رأي ابن شهيد في قضية اللفظ والمعنى ـ السابقة الذكر ـ والتي يرى فيها ان الأدب الجيد هو الذي اكتملت جوانبه من لفظ ومعنى وسياق .

فعلى اي حال يجب على الناقد ان يكون على مستوى الاحكام التي يصدرها

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٦٥

فلا يتسرع فى الحكم على النصوص كى يكون حكمه اكثر موضوعيه وأقل خطأ .

ثم يتحدث ابن شهيد عن ابن دراج القسطلى الشاعر الاندلسى المعروف (١)

فيقول : " والفرق بين أبى عمر وغيره أن ابا عمر مطبوع النظام ، شديد أسر (٢) الكلام ، ثم زاد بما فى أشعاره من الدليل على العلم بالخبر واللغة والنسب ، وما تراه من حوكه للكلام ، وملكه لأحرار الألفاظ ،وسعة صدره ، وجيشة بحره ، وصحة قدرته على البديع ، وطول طلقه فى الوصف ، وبغيته للمعنى وترديده ، وتلاعبه به وتكريره ، وراحته بما يتعب الناس ، وسعة نفسه فيما يضيق الأنفاس " .

وفى الواقع ان هذا الكلام على درجة كبيرة من الاهمية لأنه يعطينا المقاييس الحقيقيه لتقويم الشعر والتى تفيد كل ناقد فى اصدار حكم موضوعى بعيد عن التوقعات والافتراضات .

ويشير ابن شهيد فى نصه السابق الى المصادر الأوليه لثقافة الشاعر فى ذلك الوقت وهى اللغة والخبر والنسب والتى لا يستطيع ان يستغنى عنها الشاعر فى اكثر اغراضه الشعريه . وقد اشار الى ذلك كثير من النقاد قبل ابن شهيد وبعده فعرف ابن خلدون الأدب بقوله (٣) : " حفظ اشعار العرب واخبارها والأخذ من كل علم بطرف . "

---

(١) هو ابو عمر احمد بن دراج القسطلى من ابرز شعراء الاندلس واجودهم شعرا حتى انه كان يشبه المتنبى عند اهل الشرق — انظر ترجمته فى " ابن بسام ١/١ ص ٤٣ ، وفى الحميدى ص ١٠٣ "

(٢) ابن بسام ١/١ ص ٤٥

(٣) ابن خلدون . مقدمة ابن خلدون " دار احياء التراث العربى — بيروت ط ٤ " ص ٥٥٣ .

فالأديب يجب ان يكون على درجـة عاليـة من الاطلاع والثقافـه والالمـام بعلوم العصر الذى يعيش فيـه ٠

اما قول ابن شهيد : " وراحته بما يتعب الناس " ففيه اشارة الـى ان التمكن من اللغـه وغريبها من مزايا الشاعر الجيد وكأنه يشير بذلـك الى قول المتنبـى :

انام ملء جفونى عن شواردهـا * ويسهر الخلق جراها ويختصم

ولكن فى الواقع ان التعمد فى البحـث عن غريب الألفـاظ ونوادرهـا ليس مرغوبا فيـه فى بعـض الأحيـان ٠

" البـــــاب الثالـــــث "

(الجديد في نقد ابن شهيـــد)

الفصــــــــل الأول

آراء جديدة فى موضوعات قديمـــــــة

١ـ موقف ابن شهيد من البيـان :

كان لابن شهيد موقف واضح من البيان وهو أنه موهبة الهية يمنحهـــــا الله من يشاء من البشـر واذا لم تتوفر هذه الموهبـة فى الانسان لا يمكن باية حال من الاحوال ان يصبح بليغا او من اصحاب البيان يقول فى ذلك وهـــو يحاور تابعة ابن الاقليلى[(١)] : " فقال لى : دعنك . أنا ابو البيـــان قلت : لا ها الله ! اتنـا انت كفن وسط ، لا يحسن فيطــــرب ، ولا يسوء فيلهى ، قال : لقد علمنيه المؤدبون . قلت : ليس هو مـــن شأنهم ، انما هو من تعليم الله تعالى حيث قال : " الرحمن علم القرآن خلـــق الانسان علمه البيان " ليس من شعر يفســـر ، وأرض تكســـر . "

فهنا ينفى ابن شهيد تعليم البيان اذا لم تكن هناك موهبة[(٢)] أو ملكـة فطرية تخلق مع الشخص . ولكن لا يعنى ذلك انه يغفل اهمية الصقل أو التدريب والا لما اشترط فى المتعلم ان يكون نجيبا وصابرا وخير دليل على ذلك قصته مع اليهودى التى ذكرت فى الذخيرة يقول ابن شهيد[(٣)] : " وقد كنا اطعمنـــا هذا الطعام بعض التلاميذ ، فاستطابه وعلم مقداره ، ولكن البطالة علـــى الفتيان غالبـة ، والسآمة عليهم مسئوليـة ، فمن بنى على تعليم هذا الشـــأن فلا يعلم الا اهل النجابة والصابرة على التعليم ، لأنه من لم ينجب له تلميـــذ حمل عليه ذلك النقص ، وظن به العجـز .

---

(١) ابن بسام : ١/١ ص ٢٣٤

(٢) هذه الفكرة ـ كما نعلم ـ ليست جديدة على النقد وانما قال بها نقاد كثيرون منهم العسكرى والقاضى الجرجانى وابن الاثير وغيرهم وان كانت لآراء ابـــن شهيد فى الموضوع سماتها الخاصة المميزة لها .

(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

جلس الى يوما يوسف بن اسحاق الاسرائيلى ، وكان أفهم تلميذ مر بـى ، وانا اوصى رجلا عزيزا على من اهل قرطبة ، وأقول له : ان للحروف انسابا وقرابات تبدو فى الكلمات ، فاذا جاوز النسيب النسيب ، ومازج القريب القريب ، طابت الألفة ، وحسنت الصحبة ، واذا ركبت صور الكلام من تلك ، حسنت المناظر ، وطابت المخابر ، أفهمت ؟ قال لى : اى والله ! قلت له : وللعذوبة اذا طلبت ، والفصاحة اذا التمست ، قوانين من الكلام ، من طلب بها ادرك ، ومن نكب (١) عنها قصر ، أفهمت ؟ قال : نعم ، قلت : وكما تختار مليح اللفظ ورقيق الكلام ، فكذلك يجب أن تختار مليح النحو ، وفصيح الغريب ، وتهرب من قبيحه ، قال : أجل ، قلت : أتفهم شيئا من عيون كلام القائل :

لعمرك انى يوم بانوا ، فلم امت * خفاتا على آثارهم ، لصبور

غداة التقينا اذ رميت بنظرة * ونحن على متن الطريق نسير

ففاضت دموع العين حتى كأنها * لنا ظرها غصن يراح مطير

فقال : اى والله ، وقعت " خفاتا " موقعا لذيذا ، ووضعت " رميت " و " متن الطريق " وضعا مليحا . وسرى " غصن يراح مطير " مسرى لطيفا فقلت له : أرجو أنك تنسمت شيئا من نسيم الفهم ، فاغد على بشىء تصنعه ،

---

(١) نكب : عدل . انظر ابا بكر الرازى . مختار الصحاح " مكتبة المؤيد السعوديه بالطائف ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م " ص ٦٧٨ .

قال ابوعامر : وكان ذلك اليهودى ساكتا يمى ما أقول ، فغدا ذلك القرطبى فأنشدنى :

حلفت برب مكة والجمال * لقد وزنت كروس بالجبال

فى ابيات تشبيهه . وجاء اليهودى فأنشدنى :

أيمم ركبانهم منعجا * وقد ضمنوا قلبك الهودجا ؟

واستمر الى آخر قصيدته ، فأتى بكل حسن ، فقال لى ذلك القرطبى شعر اليهودى احسن من شعرى ، قلت : ولا بأس بفهمك اذا عرفت هذا . ولم يزل يتدرب باختلافه الى حتى ندى تربه ، وطلع عشبه ، ثم تفتح زهره ، وضاع عبقه . "

فيؤكد ابن شهيد ان للصقل والتعليم اهمية كبيرة جدا ولكن من حرمه الله نعمة الموهبة او الملكة فمن المستحيل تعليمه البيان وجعله من ذوى الفصاحة يقول : " وقول الجاحظ : انا اذا كترينا من يعلم صبياننا النحو والغريب قنع منا بعشرين درهما فى الشهر ، ولو اكترينا من يعلمهم البيان لما قنع منا بألف درهم . " (١)

ولم ينظر ابن شهيد فى هذا النص الى كثرة الدراهم او قلتها ـ كما وضحنا ذلك سابقا ـ وانما نظر الى الاستحالة ، فالمعلم لن يقنع منا بالآلاف ـ

---

(١) ابن بسام ١/١ ١٩٨ .

الدراهم كي يعلم الصبيان البيان لأنه ليس قادرا على ذلك فهو خارج على استطاعته ومن هذا النص تصرب الشك الى الدكتور احسان عباس (١) حين حكم على ابن شهيد بعدم الوضوح يقول : " والمشكلة الكبرى عند ابن شهيد هي : هل من الميسور أن يعلم الناس البيان ؟ واذا كان ذلك مستطاعا ، فلم يتفاوت الناس فيما يتلقونه منه ؟ وموقف ابن شهيد من هذه المشكلة غير واضح ، فهو حينا يرى البيان موهبة من الله ، ويعلى من قدر الموهبة ويجعلها تعويضا عن الاطلاع ، وينشى رسالة التوابع ليدل على قيمة هذه الموهبة ، ويتهكم بالمؤدبين ويدل على افتقارهم اليها . وحينا آخر يزعم أن البيان قد يعلم وان كان ذلك امرا صعبا .

فموقف ابن شهيد ـ على العكس من ذلك ـ واضح تمام الوضوح وهو انه لابد ان تكون هناك موهبة فطريه فتصقل وتنمى حتى تبلغ درجة معينة من الكمال وهذا شئ تثبته التجارب العلمية لأن الموهبة بدون صقل وتدريب تصبح قاصرة عن العطاء . فلابد لمن توفرت فيه ملكة الشعر ـ مثلا ـ ان يقرأ للشعراء ويحفظ من اشعارهم الجيدة ليتجنب عيوبهم ويأخذ بمحاسنهم ومثل ذلك من توفرت فيه موهبة الكتابة او اى موهبة أخرى . ولكن التدريب او التعليم وحده لن يخلق لنا . مواهب مهما علت درجته وخير دليل على ذلك اشعار بعض

---

(١) احسان عباس . تاريخ الادب الاندلسى عصر سيادة قرطبة ص ١٤٣ .

العلماء التى لا تقارن بمستواهم العلمى والثقافى . وهذا ما لاحظه ابن شهيد عندما فرق بين العلم والثقافة وبين الملكة الأدبية والتى يسميها فى بعض الاحيان "طبعا" (١) يقول : " واصابة البيان لا يقوم بها حفظ كثير الغريب ، واستيفاء مسائل النحو بل بالطبع مع وزنه من هذين . " (٢)

ويؤكد هذا الرأى بضرب مثال حى من واقعه ينطبق عليه هذا الكلام وهم المعلمون فيقول عنهم : (٣) " وقوم من المعلمين بقرطبتنا ممن اتى على اجزاء من النحو ، وحفظ كلمات من اللغة ، يحنون على اكباد غليظة ، وقلوب كقلوب البعران ، ويرجعون الى فطن حمئة ، واذهان صدئة ، لا منفذ لها فى شعاع الرقة ، ولا مدب لها فى انوار البيان . سقطت اليهم كتب فى البديع والنقد فهموا منها ما يفهمه القرد اليمانى من الرقص على الايقاع ، والزمر على الألحان فهم يعرفون غرائبها فيما يجرى ، عندهم تعريف من لم يرزق آلة الفهم ، ومن لم تكن له آلة الصناعة . " .

ويقسم ابن شهيد اصحاب البيان الى ثلاثة اقسام حسب قدرتهم الادبية (٤) فيقول : " واهل صناعة الكلام متباينون فى المنزلة ، متفاضلون فى شرف المرتبة ، على مقدار احسانهم وتصرفهم . فمنهم الذى ينظم الاوصاف ، ويخترع

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ١٩٧

(٢) ويقول ابن شهيد ايضا فى هذا المجال : " لا كقوم عندنا حظهم من الفهم الحفظ ، ومن العلم الذكر ، وهذا حظ القصاص ، واعلى منازل القواح " ابن بسام ١/١ ص ١٧٩

(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٥

(٤) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٣ _ ٢٠٤

المعانى ، ويحرز جيد اللفظ الا أنه يصعب عليه الكلام ، ويكد قريحته التأليف حتى انه ربما قصر فى الوصف ، وأساء الوضع. فهذا فى الابيات القليلة نافسره وفى القريبة المأخذ سائر ، وفى طريقة الجمهور الأعظم ذاهب ،حتى اذا ـ ازدحمت عليه ، وانحشدت اليه ، وطالبته ببهاء البهجة ، وشرف المنزلة، وقف وانفل ، وتلاشى واضمحل .

ومنهم الكارع (١) فى بحر الغزارة ، القادح بشماع البراعة ، الذى يمر مر السيل فى اندفاعه ، والشؤبوب فى انصبابه ، لا يشكو الفشل ، ولا يتكل على طول العمل ، اذا ازدحمت فى الكلام عليه المطالب ، وعلقت بحواشى فكره المآرب ، وحشرت عليه الصعائب والغرائب ، استقل بها كاهله ، واضطلع بثقلها غاربه واعارها من نظره لمحة ومن فكره قدحة ، ثم رمى على جانبيه قد رويت بمائها ، ولبس شعاع بهائها ، وبقى كاللقوة فى المرقب ، سام نظره قد ضم جناحيه ، ووقف على مخلبه ، لا تتاح له جارحة الا اقتصها ، ولا تتنازله طائرة الا اختطفها ، جرأته كشفرته ، وبديهته كفكرته ،فذلك الالسن يوم حرب الكلام لا تخطئ ضربته ، ولا تصاب عزته .

ومنهم من يتجافى الكلام ،ويروغ من المقال ، فاذا منى به ،أخذ بأطراف المحاسن ، وشارك فى انحاء من الصنعة ، وجل ما عنده تلفيق وحيله ، وبذلك يصاحب الأيام ،ويجارى ابناء الزمان ، ما كان له عقل يغطى على نقصانه ،

---

(١) كرع فى الماء تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا باناء " انظر ابا بكر الرازى ص ٥٦٧ .

وسياسة يسوس بها فحول زمانه . ومن خرج عن هذه الطبقات الثلاث لم يستحق اسم البيان ، ولا يدخل في اهل صناعة الكلام . "

فالاول : عند ابن شهيد لديه الموهبة ولكنه قصير الباع فلا يجيد الا في الابيات القليله .

والثاني : لديه الموهبة وطول النفس يستطيع ان يحتفظ بالجودة مهما طال به المسير . ومعنى ذلك انه يبدع الطوال الجياد .

والاخير : قليل الموهبة ولكن لديه الذكاء الذي يغطي به على نقص موهبته فيظهر بمظهر المبدع . والطبقات الثلاث في رأي صاحب النص يستحقون اسم الادباء دون من عداهم .

وهذا التقسيم يعد من مبتكرات ابن شهيد فلم يقم اي ناقد آخر بمثل هذا العمل بصرف النظر عن مدى اصابته في ذلك . ولكن على اي حال فانه يحمد لابن شهيد ذلك العمل التجديدي الذي يدل على أن هذا الرجل يحمل عقلية منتظمه تؤمن بالمنطق والنظام ، وهذا ليس غريبا على عقلية ابن شهيد التي نالت اعجاب العرب وكانت في (١) " مستوى المدح والتقريظ الذي اضفاه عليه النقاد الاوربيون بسخاء " .

---

(١) يعقوب زكي : مقدمة ديوان ابن شهيد ـ بيروت ص ٧٣

مراعاة مقتضى الحال :

ومما تنبه اليه ابن شهيد في نقده ما يسمى " مراعاة مقتضى الحال " وهو دراسة نفسية المستمع والظروف المحيطه به لتقديم ما يناسب ذلك الموقف.

وكان بشر بن المعتمر من اوائل الذين تحدثوا في هذه القضية في صحيفته المشهوره (١) . ولكن ابن شهيد عالجها بطريقته الخاصة لأنه اتى ببعض الامثلة الحية التي كانت بمثابة التطبيق العملي لتلك الأقوال ، وفيما يبدو انه مقتنع باهمية هذه الناحية ، وما لها من اثر في نجاح الاديب يقول : " لكل من الناس ضرب من الكلام ووجه من البيان " (٢) .

وفي هذا اشارة الى تلك الفروق الفرديه بين الناس واختلاف طبائعهم وتفكيرهم لأن الله عز وجل لم يجعل الناس في مستوى واحد فهناك تباين في العقول والمراتب والحياة العامه وتبعا لهذا الاختلاف تختلف طرق محادثتهم لأن الرجل العامي لا يكلم بنفس الاسلوب الذى تكلم به الملوك والوزراء ، وطريقة نقاشك او محاورتك لانسان جاهل تختلف تماما عن طريقة مناقشة العالم ومحاورته (٣)
وفي هذا يقول ابن شهيد : " وربما لا ذ بنا المستطعم باسم الشعر ممن يخبط العامة والخاصة بسؤاله فيصادف منا حالة غير ذات فضلة ، لا تتسع

---

(١) انظر البيان والتبيين ١/ ١٣٦ مكتبة الخانجي بمصر ط ٤ ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥م
(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢١٢
(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١

له فى كبيرة مبرة ، فنشاركه ونعتذر له ، وربما افدنا بأبيات يعتمد بها البقالين ومشيخة القصابين (١) ، فاذا قرعت اسماعهم ، ومازجت افهامهم ، درحلهم ، وانحلت عقدهم ، وجل شخص ذلك البائس فى عيونهم ، فما شئت اذ ذاك من خبزة وثيرة يحشى بها كمه ، ورقبة سمينة تدفن فى مخلاته ، ومن كوز فقاع (٢) يصب فى فمه ، وتينة رطبة يسد بها حلقومه ، وسنبوسقة ودكة تدس تحت لسانه ، وفالوذجة رطبة يحنك بها حنكه ، فلا يكاد البائس يستتم ذلك حتى يأتينا فيكب على ايدينا يقبلها ، واطرافنا يلطمها ، راغبا فى ان نكشف له السر الذى حرك العامة فبذلت ما عندها له ، وبادرت بدرها اليه . وتعليمه ذلك النحو من أنحاء السحر لا نستطيعه ، لأن هذا الذى يريده منا هو تعليمه البيان ، وبين فكره وبينه حجاب . "

ومما يؤخذ على ابن شهيد هنا أنه لم يكشف عن تلك الاساليب التى تحرك العامة او الخاصة شأنه فى ذلك شأن غيره من النقاد ويبدو أن هذا راجع الى ان هذه القضية تخضع للتقدير الشخصى والذوق الفردى مما يجعل وضع قواعد لها ضربا من التكلف.

---

(١) يقول الدكتور زكى مبارك حول هذا النص : " وتلك قصة نعرف بها كيف كان الشعر الفصيح ينفع من يستجدون البقالين والقصابين فى الاندلس وكيف كانت تلين اللغة لمثل ابن شهيد حتى يخاطب بها فى بلاغة جميع الطبقات " النثر الفنى ٢ / ٦٤

(٢) فقاع : شراب . ابو بكر الرازى ص ٥٠٩

ومن الملاحظ ان العرب قد تنبهوا الى مثل هذه الاشياء منذ القـــدم ولذلك اهتموا بمطلع القصيدة وخاتمتها ، ولم يؤثر عنهم التغزل فى قصائـد الرثاء (١) ، يقول الجاحظ : " ومدار الامر على افهام كل قوم بمقدار طاقتهـم ، والحمل عليهم على اقدار منازلهم (٢) . "

ويلغ من اهتمام ابن شهيد بهذه القضية انه لم يلزم الاديب بمراعـــاة الموقف فقط بل اوجب عليـه ايضا ان ينظر المواقع التى يغزو بها نفـــس المستمع مهما كانت الاحوال فيقول فى ذلك (٣) : " واصعب من هذا تحريك البخـلاء من الكبراء الى البذل ، لانهم بعادتهم لا تمكن نقلتهم لعزتهم ، ولمـــا اشتملت عليه ثياب مجدهم ،فلا ينجع تقريظهم ،فهنا هنا يحتاج الى اثقـــب ما يكون من الذهن ، واوسع ما يمكن من الحيلـة ، الا ان هذه المصابــــة لا يتمكن لذى التفاهة تحريكها ، ولابد لها من طبقة يكون لها فى المـــين بعض التصويب والتصعيد . "

وفى هذا دليل على ان الاديب يجب ان يكون ذكيا وينظر الى الأمـــور بمنظار دقيق فلا يأتى فى موقف الحزن بما يفرح ولافى موقف الفرح بما يحـــزن والا كانت النتيجـة عكس ما اراد وهذا يذكرنا بقول احد الملوك لشاعر مـــن

---

(١) الاما روى عن مرثية دريد بن الصمـــة فى اخيه التى مطلعها :
أرث جديد الحبل من أم معبد * بعاقيـة وأخلفت كل موعـــد ؟
ابن رشيق : العمدة ٢/١٥١ .
(٢) الجاحظ : البيان والتبيين ١/٩٣
(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٠١

الشعراء : (١) " ان الموت حق ، وان لنا فيه نصيبا ، غير أن الملوك تكره ذكر ما ينكد عيشها ، وينغص لذتها ، فلا تأتنا بشئ مما نكره ذكره ." وفي هذا الصدد يقول ابن شهيد : (٢) " ان لكل مقام مقالا ." واكثر ما برزت مثل هذه النواحي في الخطب السياسيه لأن من اهدافها استمالة الجماهير وكسب صفوفها ولايتم ذلك الا اذا خوطبوا بما يفهمون وبما يوافق ميولهم وعقولهم .

ونستفيد من كل ذلك ان ابن شهيد فهم هذه القضية فهما جيدا بل انه جعلها شرطا اساسيا في نجاح الاديب وشهرته لأنه استطاع ان يصل بينه وبين المستمع . يقول الدكتور زكي مبارك : (٣) " ويرى ابن شهيد أن البلاغة تختلف باختلاف أقدار المخاطبين ومعنى هذا أن البلاغة صلة نفسية بين المتكلم والمخاطب فهي ترجع الى فهم المتكلمين لنفوس المخاطبين وعلى ذلك لا يكون اساس بلاغة الكلام صلاحيته لأن يلقى الى جميع الناس في جميع الاحوال ، وانما بلاغة الكلام ان يبلغ بصاحبه الى الغرض الذي يرمي اليه عند الخطاب ..... وجملة القول في هذا المعنى أن البلاغة ضرب من السياسة النفسية ."

---

(١) ابن رشيق ٢٢٢/١
(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٢
(٣) زكي مبارك ٢ص ٦٥ ـ ٦٦

ومن ما سبق يتبين لنا أن ابن شهيد نظر الى فكرة مقتضى الحال نظـرة
نفسية ففرق بين المخاطبين نفسيا اضافـة الى الفرق بينهم فى القدرة علـــى
الفهم كما قال العرب وبذلك يكون عند ابن شهيد شئ من التجديد فى هـــذه
الناحيه. وفى حقيقـة الأمـران الحالـة النفسيـه للمستمع مهمـة جـــدا
لأنها تؤثـر على سائـــر مدارك الشخص واحاسيســـه.



السجـــع :

عاش ابن شهيد في عصر طغى فيه السجع على بقية الاساليب بل انـــه اصبح من خصائص ذلك العصر كما يقول الدكتور زكي مبارك (١) : " التزام السجـع صار من خصائص النثر الفني في القرن الرابع .... ولم يخرج من كتاب هـــذا العصر الى الحريـة في الصياغـة الفنيـة الا عدد قليل . "

ولكن لا يفهم من هذا ان ابن شهيد من الذين يجيدون السجع او يتعصبـون له كما فعل بعض الكتاب في ذلك الوقت ولكنه فيما يبدو ليس مقتنعا بهذا الاسلوب وانما كان لذوق العصر واعجاب اهلـه بالسجع وشغفهم به دخل كبير في اذعانـــه للكتابة بذلك الاسلوب (٢) وهذا ما يوضحـه الحوار الذي دار بينه وبين تابعـــة الجاحظ في رسالـة التوابع والزوابع (٣) : " فقال : إنك لخطيب وحائـــك للكلام مجيد ، لولا أنك مغرى بالسجـع ، فكلامك نظم لا نثر . فقلت في نفـــسي : قرعك ـ بالله ـ بقارعته ، وجاءك بمماثلته ، ثم قلت له : ليس هذا ـ أعـــزك اللـه ـ بـ مني جهلا بأمر السجع ، وما في المماثلة والمقابلة من فضل ، ولكنـــي عدمت ببلدي فرسان الكـلام . ودهيت بغباوة أهل الزمان ، وبالحرا أن احركهـم (٤) بالازدواج (٥) . ولو فرشت للكلام فيهم طولقا ، وتحركت لهم حركة مشولم ، لكـــان

---

(١) زكي مبارك ١ / ١٣٧

(٢) نحن هنا لا نعالج الموقف من ناحيـه ادبيـه لنبين خصائص اسلوب ابن شـهيد وانما نعرض الى ذلك من ناحية نقدية وهو موقفه من السجع.

(٣) ابن بسام ١ / ١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠

(٤) في روايه الكلاعي : " أن احركهم بذلك " الكلاعي : احكام صنعة الكـــلام . دار الثقافـه بيروت ١٩٦٦ م ص ٢٣٧ . وهناك بعض الفقرات التي يختلـــف فيها الكلاعي مع ابن بسام صاحب الذخيره .

(٥) " الشالم والشولم والشيلم كراع الزؤان الذي يكون في البر سوادية " انظـــر ابن منظور . لسان العرب " الدار المصريه للتأليف والترجمة " جـ ١٥ ص ٢١٧ .

أرفع لى عندهم ، وأولج فى نفوسهم ، فقال : أهذا على تلك المناظر ، وكبر تلك المحابر ، وكمال تلك الطيالس ؟ قلت : نعم ، انها لحاء الشجر ، وليس ثم ثمر ولاعبق . قال لى : صدقت ، انى أراك قد ماثلت معى . قلت : كما سمعت قال : فكيف كلامهم بينهم ؟ قلت : ليس لسيبويه فيه عمل ، ولا للفراهيدى اليه طريق ، ولا للبيان عليه سمة . انما هى لكنة أعجمية يؤدون بها المعانى تأدية المجوس والنبط . فصاح : انا لله ، ذهبت العرب وكلامها ! ارمهم يا هذا بسجع الكهان (١) ، فعسى أن ينفعك عندهم ، ويطير لك ذكرا فيهم . وما أراك مع ذلك الا ثقيل الوطأة عليهم ، كريه المجىء اليهم . فقال الشيخ الذى الى جانبه ، وقد علمت أنه صاحب عبد الحميد ، ونفسى مرتقبة الى ما يكون منه : لا يغرنك منه أبا عيينه ـ تابعة الجاحظ ـ ما تكلف لك من المماثلة . ان السجع لطبعه ، وان ما اسمعك كلفه . ولو امتد به طلق الكلام ، وجرت افراسه فى ميدان البيان ، لصلى كودنه ، وكل برذنه . "

وفى هذا النص نجد ابن شهيد يقف من السجع موقفا سلبيا ويرمى ابناء عصره بالجهل ويربط بين ذلك وبين حبهم المتناهى للسجع مما يدل على أنه رأى أن ذوق العصر يهتم بالشكل ولا يهتم كثيرا بالجوهر ولهذا ذهب الى ان السجع المستحب لديهم هو ما يشبه سجع الكهان الذى نهى عنه الرسول صلى

---

(١) يقصد هنا ابن شهيد اما ان الادباء لابد لهم ان يعودوا الى الادب الجاهلى ، والاصالة العربية كى يقوى اساسهم وتصقل مواهبهم . او انه اراد ان هذه الاذواق فاسدة حتى اصبحت تفضل السىء على الحسن .

الله عليه وسلم لما فيه من الخرافات ، واذا نظرنا اليه من الناحية الفنية وجدناه متكلفا يبدو عليه اثر الصنعة الممقوته .

ولكن ابن شهيد فى حقيقة الأمر قسا كثيرا على ابناء تلك الفترة لأننا لو استعرضنا التاريخ لوجدنا انه عاش فى عصر يزخر بالادباء والعلماء الافاضل الذين لا ينكر فضلهم ولا يغمط حقهم وخير دليل على ذلك رسالة ابن حزم (١) فى فضل الاندلس التى ذكر فيها من ادبائها وعلمائها ما يفوق الحصر. ثم يبدأ موقف ابن شهيد فى الاعتدال حين يشترط فى السجع الذى يمكن أن يقبل شروطا لا نكاد نجدها عند كثير من النقاد يقول فى ذلك (٢) : " ان لسجعك موضعا من القلب ، ومكانا من النفس ، وقد اعرته من طبعك ، وحلاوة لفظك ، وملاحة سوقك . "

ولا يتحقق ذلك ـ كما نعلم ـ الا اذا كان السجع خاليا من التكلف والتعسف حلو اللفظ مليح السياق فيصبح بذلك مقبولا عند الجميع .

وفى الحقيقة ان الادباء فى الاندلس كانوا ينقسمون الى قسمين فبعضهم كان يترسل فى اسلوبه مقتدين بعبد الحميد وسهل بن هارون والجاحظ وغيرهم والقسم الآخر كان يسجع مقتدين بابن العميد وابن حيان وبديع الزمان وغيرهم .

---

(١) انظر المقرى : نفح الطيب ٣ / ١٧٨
(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٣٠

وفى واقع الامر ان اصحاب الترسل يرون السجع قيدا للاديب يحول بينه وبين الانطلاق وراء فكرته ولذلك يجعل اللفظ والحصول عليه همه وغايته مما يجعله فى بعض الاحيان يلجأ الى الالفاظ المعقدة والغريبة مراعاة للفاصلة مما يحدو بهذه الاساليب الجنوح الى الابهام والغموض.

ويستدلون أيضا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذم السجع " اسجعا (١) كسجع الكهان (٢) ."

واما الفريق المقابل وهم اصحاب السجع فيرون انه لون من الوان البلاغة ويستدلون بوجوده فى القرآن الكريم وهو ابلغ كتاب عرفته البشرية وفيه القدوة الحسنه ويفسرون حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بقولهم : انه لم يذم السجع ولو اراد ذلك " لقال : اسجعا ، ثم سكت ، وكيف يذمه ويكرهه ، (٣) واذا سلم من التكلف ، وبرئ من التعسف لم يكن فى جميع صنوف الكلام احسن منه." ويقول ابن الاثير : " وقد ذمه بعض اصحابنا من ارباب هذه الصناعة ، ولأرى لذلك وجها سوى عجزهم ان يأتوا به ، والا فلو كان (٤) مذموما لما ورد فى القرآن الكريم (٥) ."

---

(١) ابو هلال العسكرى : الصناعتين ص ٢٦٧ .

(٢) وفى رواية " اسجع كسجع الأعراب " وفى رواية اخرى : " اسجع الجاهلية وكهانتها " وفى رواية ايضا " انما هذا من اخوان الكهان " سنن ابى داود ط ١ " ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م . " مصطفى البابى الحلبى ج٢ص : ٤٩٧ ، ص ٤٩٩ .

(٣) ابو هلال العسكرى : ٢٦٧ (٤) ابن الاثير . المثل السائر " نهضة مصر ط١ ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م " ج١ ص ٢٧١ (٥) لقد عالجت كتب الاعجاز فى القرآن الكريم موضوع السجع فى القرآن فمنهم من اثبته ومنهم نفاه وبعضهم سماه فواصل كالباقلانى وللاستزادة يرجع الى هذه الكتب.

وعلى الرغم من ان ادباء الاندلس كانوا بصفة عامة يقتدون بالمشارقه على اختلاف عصور الأدب فى المشرق فان من الملاحظ ان الكاتب الواحد يمكن ان يسجع احيانا وان لا يسجع احيانا اخرى ولكن ذلك لم يكن قاصرا على الاندلسيين فقد عرفت امثلة لذلك فى المشرق ايضا عند الآمدى والباقلانى والعسكرى والحاتمى وغيرهم (١) . وهذا يبطل الاعتقاد الذى قال به الدكتور شوقى ضيف من ان ذلك كان مقتصرا على ادباء الاندلس يقول (٢) : " ابن شهيد لا يستخدم فيها ـ رسالة التوابع والزوابع ـ دائما اسلوب السجع بل تارة يسجع وتارة لا يسجع وهذا معنى قولنا ان الكاتب الكبير فى الاندلس لم يكن يخضع فى صنع نماذجه لمذهب معين من مذاهب المشرق ، بل هو ـ على نحو ما نرى الآن عند ابن شهيد ـ كان يتقلب بين المذاهب والمناهج المختلفة " .

فالأدلة تخالف ما ذهب اليه الدكتور شوقى ضيف كما رأينا .

---

(١) الدكتور زكى مبارك ١٣٧/١

(٢) الدكتور شوقى ضيف . الفن ومذاهبه فى النثر العربى " دار المعارف بمصر ط ٥ " ص ٣٢٣

٤ـ بناء القصيده :

من القضايا التى عالجها ابن شهيد فى نقده الخروج على ذلك النظام المتبع فى القصيدة العربية منذ العصر الجاهلى ، وهو ما يسمى بالمقدمة الطللية وانكاره الشديد على الشعراء الذين يولون هذه المقدمة اهتماما ينسيهم الغرض الاساسى الذى من اجله انشئت القصيده فلا يشيرون اليه الا اشارة بسيطة لا تفى بالمطلوب.

يقول ابن شهيد [(١)] : " ومما يلزم المدعى لصناعة الكلام اذا اعتمد وصف حالة أن يستوفى جميعها ، ويكون ما يطلبه من الابداع والاختراع فيها غير خارج عنها وما هو بسبيلها ، فذلك أبهى لكلامه ، وافخم للمتكلم به ، وأدل على ان الكلام له ومن تأليفه ، لا كما شهدته يوما عند ابن حمود وقد صدر عن ابن الشرب ، ومدحه عدة شعراء ، صدور أشعارهم لزينب والرباب ولميس وفرتنى ، وأعجازها للجود والكرم وبذل اللهى ، ولم يلم احد منهم بذلك الغرض او المغزى الا فى بيتين أو ثلاثة . "

وهذا يعطينا فكرة عن حالة الشعر فى عصر ابن شهيد وانه لم يزل ملتزما بتلك القيود العربية كما هو الحال عند شعراء المشرق . ومن المناسب هنا ان نذكر تلك القصة التى رويت عن والى خراسان فى عصر بنى امية [(٢)] : " كان بعض الرجاز اتى نصر بن سيار والى خراسان لبنى اميه فمدحه بقصيدة

---

(١) ابن بسام ١/١ ٢٧٣

(٢) ابن قتيبه ١/ ٧٦

تشبيبها مائة بيت ومديحها عشرة ابيات فقال نصر : والله ما ابقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفا الا وقد شغلته عن مديحي بتشبيبك فان اردت مديحي فا قتصد في النسيب ."

وفيما يبدو أن عند ابن شهيد نزعة تحررية تميل الى انكار تلك التقاليد التي قيدت بها القصيدة العربية القديمة ، وهذه محاولة ترجع الى ابي نواس في القرن الثاني الهجري الذي يقول : (١)

صفة الطلول بلاغة الفدم * فاجعل صفاتك لابنة الكرم

لاتخد عن عن التي جعلت * سقم الصحيح ، وصحة السقم

وصديقة الروح التي حجبت * عن ناظريك ، وقيم الجسم

ويقول أيضا : (٢)

لا تبك ليلى ،ولا تطرب الى هند * واشرب على الورد من حمراء كالورد

ولكن الدافع الرئيسي لابي نواس في هذا الانكار هو الشعوبية او التعصب ضد العرب وتحقير تقاليدهم والدليل على ذلك انه استبدل بالمقدمة الطللية مقدمة اخرى تصف الخمر وهذا استبدال تقليد بتقليد ليس اكثر من ذلك بل ان الوقوف على اطلال المحبوبة والتغزل فيها اصدق احساسا واعمق تجربة من وصف الخمر (٣) . خلافا لما يعتقده الدكتور حسين عطوان (٤) حين يقول :

---

(١) ابو نواس . الديوان ص ٥٣٩ (٢) ابو نواس . الديوان ص ١٨٠ .

(٣) يقول الدكتور طه حسين عن دعوة ابي نواس : " يذم القديم ـ لا لأنه قديم ـ بل لأنه قديم ، ولأنه عربي ، ويمدح الحديث ـ لا لأنه حديث ـ بل لأنه حديث ، ولانه فارسي ، فهو اذن مذهب تفضيل الفرس على العرب ، مذهب الشعوبيه المشهور " حديث الاربعاء دار المعارف بمصر ط ١١ ج ٢ ـ ص ٩٠ . وقال بذلك الرأى أيضا الاستاذ العقاد الذى استدل على ذلك =

" وفى رأينا أن ابا نواس لم ينزع منزعا شعوبيا فى دعوته وثورته ، انما كان يهدف الى الصدق الفنى ." (١) اما الدكتور شوقى ضيف فقد عزا ذلك الى مجونه وخلاعته . وفى الواقع ان الادلة لا تؤيد ما ذهب اليه اى من الدكتورين .

ولكن هناك بعض من نادى بالتحرر من هذه المقدمة أنكارا لها واحتجاجا على كونها شرطا فى كل قصيدة . ويقوم نقد هؤلاء على عامل فنى خالص بصرف النظر عن مدى اصابتهم فى ذلك ، يقول المتنبى :ـ (٢)

اذا كان مدح فالنسيب المقدم * اكل فصيح قال شعرا متيم

وقد لاقت هذه الدعوة صداها عند كثير من الشعراء الذين خرجوا على هذه التقاليد امثال البحترى والمتنبى وغيرهما مبتدئين بالغرض الاساسى فى القصيدة دون مقدمات او خاتمات . (٣) يقول ابن رشيق : " ومن الشعراء من لا يجعل لكلامه بسطا من النسيب بل يهجم على ما يريده مكافحة ويتناوله مصافحة ."

= بتهديد الخليفه له وامره بالكف عن ذلك . ابو نواس الحسن بن هانىء " مطبعة الرسالة " ص ١٤٤ .

(٤) الدكتور حسين عطوان . مقدمة القصيده العربية " دار المعارف بمصر ١٩٧٤ م " ص ١١٣ .

(١) الدكتور شوقى ضيف . العصر العباسى الأول " دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م " ص ٢٣١ .

(٢) المتنبى . الديوان جـ ٤ ص ٦٩

(٣) ابن رشيق ١/٢٣١

ومن الملاحظ ان ابن شهيد خالف فى شعره المبدأ الذى نادى به فى نقده فلو نظرنا الى قصيدته فى مدح ابى مروان والتى مطلعها :(١)

منازلهم تبكى اليك عفاءها * سقتها الثريا بالفرى نحاءها

لوجدنا ان ابيات الغزل فيها تبلغ اربعة عشر بيتا بينما ابيات المدح لا تتجاوز ثلاثة عشر بيتا . وشبيه بذلك قصيدته التى مدح بها عبد العزيز المؤتمن ومطلعها :(٢)

اذن الديك فشت او شوب * وانضح القلب بماء العنب

وفى هذه القصيدة بالذات دليل على أن دعوة ابى نواس السابق ذكرها كانت معروفة عند شعراء المغرب فهذا ابن شهيد يفتتح قصيدته بذكر الخمر كما فعل ابو نواس فى قصائده .

ويدل هذا على الانفصام بين شعر ابن شهيد ونقده ذلك أنه فى نقده متحرر لا يؤمن بالتقيد بالمقدمة الطللية ولا بأية مقدمة غيرها . فى حين أنه فى شعره يحافظ احيانا على المقدمة الطللية بل يلتزم احيانا اخرى بالمقدمة الخمرية .

ومما يجدر ذكره ان ابن شهيد فطن الى وحدة العمل الادبى فى اوضح صورها وذلك حين يقول :(٣) " مما يلزم المدعى لصناعة الكلام اذا اعتمد

(١) يعقوب زكى الديوان ص ٨٢
(٢) يعقوب زكى . الديوان ص ٩٢
(٣) ابن بسام ١/١ ص ٢٧٣

وصف حالة أن يستوفى جميعها ، ويكون ما يطلبه من الابداع والاختراع فيها غير خارج عنها وما هو بسبيلها ، فذلك أبهى لكلامه ، وافخم للمتكلم به ، وأدل على ان الكلام له ومن تأليفه ."

ويعد ابن شهيد من اقرب النقاد الى فهم وحدة العمل الادبى لأن اكثرهم اعتنى باجزاء القصيدة من مدح او ذم او غزل وتوثيق الصلة بين هذه الاغراض"(١) ولم يفطن احد منهم الى وحدة العمل الادبى فى القصيدة على نحو ما نفهم اليوم ولهذا لم يناف بناء القصيدة الجاهلية ، فى فهمهم ، مع تأليف المعانى فى الوحدة العامة كما دعا اليها امثال ابن طباطبا ، اذ نراه — على الرغم من توكيده هذا التأليف والانسجام بين المعانى — يقول : "(٢) ويسلك (الشاعر) منهاج اصحاب الرسائل... فيحتاج الشاعر الى أن يصل كلامه — على تصرفه فى فنونه — صلة لطيفة ، فيتخلص من الغزل الى المديح ، ومن المديح الى الشكوى ، ومن الشكوى الى الاستماحة بألطف تخلص واحسن حكاية ، بلا انفصال للمعنى الثانى عما قبله ، بل يكون متصلا به وممتزجا معه ." وفى هذا يرى ابن طباطبا أن مجرد وصل آجزاء القصيدة على نظامها الجاهلى فى جمعها بين الغزل والمدح ، أو وصف الديار والآثار والنوق — وحدة لها ، فلا يكون المعنى الثانى منفصلا عما قبله متى تخلص الشاعر اليه تخلصا

---

(١) الدكتور محمد غنيمى هلال — النقد الا دبى الحديث " الانجلو المصرية ط ٥ ١٩٧١م"

(٢) ابن طباطبا ص ٦

حسنا ، وأن كان فى الواقع مغايرا للمعانى التى سبقته ، ولامبرر لجمعهـــا مما الا النظام التقليدى ، كالجمع بين الغزل والمدح ، أوبين الآثـــار والفيافى والنوق والشكوى والاستماحـــة ....

ان نقاد العرب لم يأتوا بجديد فيما يخص وحدة العمل الفنى ... فكانـــت عنايتهم بالاجزاء وتوثيق الصلة بينها اشد من عنايتهم بوحدة العمل الفنى جملة. "

لكن ابن شهيد — بلا شك — استوعب هذه القضية وتبلورت فى ذهنـــــه فعبر عنها تعبيرا دقيقا وان كان فى حديثه شىء من الايجاز كما اشار الــــى ذلك الدكتور احمد هيكل فقال : (١) " لمح ابن شهيد بحديث موجـز عــــن الوحدة الفنيـــة ، فذكر أنه على من يتعرض لمعالجـة موضوع أن يستوفى جوانبــــه أولا ، والا يخرج عما هو بسبيله ثانيـــا ".

---

(١) الدكتور احمـد هيكـل ص ٣٩٧.

الفصـل الثانـــــــى

" ارتياد بعـض القضايا الجديـــــدة "

مما لا شك فيه ان ابن شهيد ناقد عبقرى وعقليـة غيرعاديـة لأنه استطاع ان يكون رائدا لبعض الآراء الجديدة التى يعود الفضل فيها اليه ، كذلـك ان بعض نظرياتـه او ارا ئه لم تكتشف الا فى هذا العصر كما سوف نوضح .

فاقل ما يمكن ان نقوله عن ابن شهيد انه رجل ابداعى او متحرر — اذا صح هذا التعبير — لا يومن بالتمويه وان كانت بعض اقواله لا تستند على أساس علمـى وانما هو نتاج البصيرة النافذة والذكاء الخارق .

ففى هذا الفصل تعرض ابن شهيد للالهام الشعرى فنظر اليه نظـــرة تختلف عن نظرة بقيـة النقاد ، كذلك اشار الى المنهج التاريخـى ، ثـــم تكلم عن علم الجمال بطريقة جديدة ، وجعل المعارضه دليلا على تفوق الشاعــر ثم ربط بين اعضاء الاديب وقدرته العقليـه ، واخيرا اشار الى هيئة الاديـــب واهميتها فى كمـال شخصيتـه .

وكـل هذه القضايا كما نرى فيها شىء من الجدة والطرافـة .

اولا : الالهــام الشعـــــــرى

تكلم ابن شهيد عن الالهام الشعرى او ما اصطلح على تسميته عند العــرب بشياطين الشعراء . وهى فكرة قديمة جدا تزعم ان لكل شاعر شيطانا يلهمــــه (١) الشعر ويساعده على نظم القصائد . بل تخيلوا ان للجن قبائل وبطونـــــا متعددة قياسا على حياتهم التى يعيشونها ، فمنهم بنو الشيصبان الذين ذكرهم (٢) حسان بن ثابت فى قولـه :

اذا ما ترعرع فينا الغـــــلام * فما ان يقال له من هـــــــوه

اذا لم يسد قبل شق الازار * فذلك فينا الذى لا هــــوه

ولى صاحب من بنى الشيصبان * فطورا اقول وطورا هــــوه

(٣)
وهناك من قال : ان فيهم امراء وشيوخا انظر الى قول الراجز :ـ

انى ـ وان كنت صغير السن * وكان فى العين نبو عنـــى

فان شيطانى امير الجـــــن * يذهب بى فى الشعر كل فن

ولقد وقف النقاد حيال هذه القضيـــة مواقف متعددة ولكن افضل من علل هذه النظرة (٤) عند العرب ابن حـزم الذى رد ذلك الى ما ألقى فى روعهم من ان الجـــــن

---

(١) هذا الاعتقاد كان سائدا الى وقت قريب عند بعض قبائل الجزيرة العربيـــة فتزعم ان الشاعر يلازمه شيطانه ويساعده خاصة فى المناظرات الشعريـــة واعنى هنا شعراء النبط او الشعر الشعبى .

(٢) حسان بن ثابت : الديوان ج ١ ص ٥٢٠

(٣) الدكتور محمد حسين عبدالله : مقدمة فى النقد الادبى دار البحوث العلمية الكويت ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م ط ١ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٧

(٤) محمد عبدالمنعم خفاجى . الحياة الأدبيه طبع سنة ١٩٤٩م ص ١٧٦

مصدر قوه خارقه يعجز الانس عن القيام بمثلها • وهذا التعليل نصيبه من الصحة كبير لانه يعكس نفسية العرب وانطباعهم عن الجن فكما روى انهم كانوا يخافونهم خوفا شديدا الى درجة انهم اذا هبطوا واديا وارادوا المبيت فيه قالوا : نعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه بل ان بعض العرب كانوا " يعبدون الجن ، ويجعلونهم شركاء الله ، بيدهم الضر والنفع ، والخير والشر • "(١)

فجاء الاسلام وبين ان الانسان هو سيد هذا الكون ورد اليه كرامته التى منحها من عند الله ولذلك اوصى الرسول صلى الله عليه وسلم المسلم اذا هبط مكانا موحشا ان يقول اللهم انى اعوذ بك من الخبث والخبائث •

وكان العرب يرون فى سلوك الشاعر بعض الغرابه فيأتى ـ مثلا ـ بكلام لا يستطيع احد منهم ان يأتى بمثله ، ويعمل اعمالا غريبة وشاذه فى بعض الحالات فاذا اراد الهجاء(٢) " لبس حلة خاصه ، لعلها كحلل الكهان وحلق رأسه وترك له ذؤابتين ودهن أحد شقى رأسه ، وانتعل نعلا واحدة • "

ومثل ذلك ما روى عن جرير فى رده على هجاء البعيث حين يتقلب على فراشه عريانا • وبالطبع كل هذه الشياء جعلتهم يحكمون على الشاعر بأن له شيطانا يلهمه الشعر ويساعده على قوله •

---

(١) الدكتور محمد غنيمى هلال : النقد الادبى الحديث ص ٣٦٦

(٢) شوقى ضيف : العصر الجاهلى دار المعارف بمصر ١٩٦١م ص ١٩٧

ولكن السؤال المطروح هو ان هذا شعور المستمعين ولكن ما هو شعور الشاعر نفسه الذى يؤكد ان هناك من يلهمه الشعر ؟!

وهنا نقول ان نشأة هذه الفكره ربما ترجع الى ان الشاعر يلاحظ ان الشعر يأتيه عفويا سهلا فى بعض الاحيان ويستعصى عليه فى بعضها الآخر دون ان يجد تفسيرا معقولا لذلك فلجأ الى فكرة الشياطين فى محاولة منه لفهم هذه الظاهره . وقد رأى الشعراء بعد ذلك انهم يزدادون هيبة فى اعين المستمعين وهذا بالطبع ما يريده كل شاعر لنفسه .

فالجن عالم خفى لا يستطيع احد رؤيته كما يقول ابن حزم (١) : " قال ابو محمد : وهم يروننا ولانراهم قال تعالى : " انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم " فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل " الا ابليس كان من الجن " قال ابو محمد : واذا اخبرنا الله عز وجل اننا لا نراهم فمن ادعى انه يراهم أو رآهم فهو كاذب الا أن يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم . "

ونعرض هنا الى رسالة " التوابع والزوابع " التى تدور حول هذا الموضوع لنبين من خلالها موقف ابن شهيد من فكرة شياطين الشعراء .

وبدايتها ان بعض معاصريه استغرب منه هذه العبقريه وجزم بانها لاتصدر منه وحده فلابد ان تكون هناك قوة اخرى تؤيده فقال (٢) : " كيف أوتى الحكم صبيا ، وهز بجذع نخلة الكلام فاساقط عليه رطبا جنيا ؟ آما ان به شيطانا

---

(١) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل المطبعة الادبيه سنة ١٣٢٠ هـ جـ ٥ ص ١٢

(٢) ابن بسام : ١/١ ص ٢١٠

يهديه ، وشيصبانا يأتيه ! واقسم ان له تابعة تنجده ، وزابعة تؤيده ليس هذا في قدرة الانس ، ولاهذا النفس لهذه النفس ."

فيقول له ابن شهيد اجابة على سؤاله ومبينا قصة اتصاله بعالم الجن (١) : " كنت ايام كتاب الهجاء ، احسن الى الادباء ، واصبوالى تأليف الكلام ، فاتبعت الدواوين ، وجلست الى الاساتيذ ، فنبض لى عرق الفهم ..

... وكان لى اوائل صبوتى هوى اشتد به كلفى ، ثم لحقنى بعد ملل فى اثناء ذلك الميل . فاتفق أن مات من كنت اهواه مدة ذلك الملل ، فجزعت واخذت فى رثائه يوما فى الحائر ، وقد أبهمت على ابوابه ، وانفردت فقلت :

تولى الحمام بظبى الخدور * وفاز الردى بالغزال الغرير

الى أن انتهيت الى الاعتذار من الملل الذى كان ، فقلت :

وكنت مللتك لا عن قلى * ولاعن فساد جرى ، فى ضميرى

فارتج علىّ القول وأفحمت ، فاذا أنا بفارس بباب المجلس على فرس ادهم كما بقل وجهه ، قد اتكأ على رمحه ، وصاح بى : أعجزا يا فتى الانس ؟ قلت : لا وأبيك ، للكلام أحيان ، وهذا شأن الانسان ! قال لى : قل بعده :

كمثل ملال الفتى للنعيم * اذا دام فيه وحال السرور

فأثبت اجازته ، وقلت له : بأبى أنت ! من أنت ؟ قال : أنا زهير بن نمير من أشجع الجن . فقلت : وما الذى حداك الى التصور لى ؟ فقال : هوى فيك ، ورغبة فى اصطفائك . قلت : اهلا بك أيها الوجه الوضاح ، صادفت

---

(١) ابن بسام : ١/١ ص ٢١١

قلبا اليك مقلوبا ، وهوى نحوك مجنوبا . وتحادثنا حينا ثم قال : متى شئت استحضارى فانشد هذه الابيات :

والى زهير الحب ياعزانه * اذا ذكرته الذاكرات أتاها

اذا جرت الأفواه يوما بذكرها * يخيل لى أنى أقبل فاها

فأغشى ديار الذاكرين وان نأت * أجارع من دارى هوى لهواها

واوثب الادهم جدار الحائط ثم غاب عنى . وكنت أبا بكر متى أرتج علىّ أو انقطع بى مسلك ، أو خاننى أسلوب أنشد الابيات فيمثل لى صاحبى فأسير الى ماأرغب وأدرك بقريحتى ما أطلب . وتأكدت صحبتنا ، وجرت قصص لولاان يطول الكتاب لذكرت اكثرها . "

ولكن فيما يبدو ان ايمان ابن شهيد بشياطين الشعراء كان على سبيل الفكاهة والمزاح فقد قال ابن بسام عن رسالته " التوابع والزوابع " (١) وان صدرت عنه مصدر هزل ، فتشتمل على بدائع وروائع . "

وذكر فى بعض الكتب انه سماها " شجرة الفكاهة " (٢) مما يدل على أن القضيه عند ابن شهيد لا تؤخذ مآخذ الجد . ومما يؤكد ذلك ايضا تلك الاشعار التى اتى بها على السنة البغال والحمير والتى تثير الضحك وتبعث السرور فى النفس يقول ابن حيان : " (٣) وله رسائل كثيرة فى فنون الفكاهة وانواع التعريض والاهزال " .

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢١٠
(٢) الحميدى . ص ٣٧٤
(٣) ابن بسام ١/١ ص ١٢٢

ولكن اذا صرفنا النظر عن مجمل رسالة " التوابع والزوابع " والتي تعد في حد ذاتها عملا جديدا ، فانا نجد عند ابن شهيد في هذا المجال بعض الابتكارات التي ينسب فضلها اليه. من ذلك مساواته بين الكتاب والشعراء في ان لكل منهم شيطانا يلهمه فنه الخاص به لأن الاعتقاد السائد منذ القدم أن الشياطين تتصل بالشعراء فقط دون غيرهم.

وكأن ابن شهيد بعمله هذا يلقى بعض الاسئلة الانكاريه. فلماذا يكون للشاعر شيطان ولايكون للكاتب مثل ذلك على الرغم ان مجاليهما يكاد يكون واحدا ؟!

ولكن الأمر عند ابن شهيد يتعدى ذلك فقد جعل للمشايخ وللكبراء توابعا من الجن يقول : " (١) وكانت في الحركة اوزة بيضاء شهلاء ، في مثل جثمان النعامة ، كأنما ذر عليها الكافور ، او لبست غلالة من دمقس الحرير ، لم ار اخف من رأسها حركة ، ولا احسن للماء في ظهرها صبا ، تثنى سالفتها ، وتكسر حدقتها ، وتلولب قمجد وتها ، فترى الحسن مستعارا منها ، والشكل ما خوذا عنها .... فقلت لزهير : ما شأنها ؟ قال : هي تابعة شيخ من مشيختكم تسمى العاقلة وتكنى أم خفيف . "

ويقول ايضا : " (٢) فتبسم زهير وقال لي : هو تابعة كبير منكم ففهمتها عنه "

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٥٤
(٢) ابن بسام ١/١ ص ٢٥٢

ثانيا : المنهج التاريخـــــى

اشار ابن شهيد في نقده الى ما يسمى بالمنهج التاريخى وهو دراسة الاطوار التاريخيه التى مرت بها ظاهرة ادبيــة معينة.

فقد تكلم ابن شهيد عن الاطوار التى مرت بها الكتابة الفنية خلال العصور المختلفــة فقال (١) : "وكما ان للدنيا دولا ، فكذلك للكلام نقل وتغاير في المادة. الا ترى أن الزمان لما دار كيف أحال بعض الرسم الأول في هذا الفن الى طريقـــة عبد الحميد وابن المقفع وسهل بن هارون وغيرهم من اهل البيان ؟ فالصنعـــــة معهم أفسح باعا ، وأشد ذراعا ، وانور شعاعا (٢) ، لرجحان تلك العقـــول ، واتساع تلك القرائح في العلوم.

ثم دار الزمان دورانا ، فكانت احالــة اخرى الى طريقة ابراهيم بن العباس ومحمد بن الزيات وابنى وهب ونظرائهم ، فرقت الطباع ، وخف ثقل النفـــــوس. ثم دار الزمان فاعترى أهلــه باللطائف صلف ، وبرقة الكلام كلف ، فكانت احالـــة اخرى الى طريقة البديع وشمس المعالى وأصحابهما. "

فاذا كان حديث الجاحظ عن العصا والبخل والبيان (٣) يعد من اوليـــــات المنهج التاريخى لأنه جمع كل ما قيل فيها فان ابن شهيد بعمله هذا اقــرب

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣

(٢) اقتران الصنعة بالتطور العقلى رأى قيم وجدير بالملاحظه لانجده عند كثـــير من النقاد (٣) انظر الاستاذ سيد قطب . النقد الادبى " دار الشـــروق بيروت " ص ١٥١.

الى ذلك من الجاحظ . وان كان كل منهما ليس له علم بهذا التقسيم الحديث الذى اصطلح عليه (١) فى هذا العصر . وانما طبقت اقوالهما على هذه المناهج كما هى الحال فى اقوال بقية الادباء .

وقد عرف الاستاذ سيد قطب المنهج التاريخى بقوله : (٢) " فاذا نحن تجاوزنا ذلك الحد ، فرغبنا مثلا فى أن ندرس مدى تأثر العمل الادبى أو صاحبه بالوسط ومدى تأثيره فيه ، أو فى دراسة الاطوار التى مر بها فن من فنون الادب او لون من الوانه ، أو فى معرفة مجموعة الآراء التى ابديت فى عمل ادبى او فى صاحبه ، لتوازن بين هذه الآراء ، أو لنستدل منها على لون التفكير السائد فى عصر من العصور ، أو اذا حاولنا أن نجمع خصائص جيل او امة فى آدابها ، وأن نصل بين هذه الخصائص ، ومجموعة الظروف التى احاطت بها ، او اذا اردنا أن نحرر نصا او عدة نصوص فنتأكد من صحتها وصحة نسبتها الى قائلها .... الى امثال هذه المباحث التى تخرج عن عملية التقويم الفنية الفردية للعمل الادبى ولصاحبه ، فان المنهج الفنى وحده لا ينهض بشىء من هذا . ولابد ان نلجأ حينئذ الى منهج آخر هو : " المنهج التاريخى " . "

ونلمس هذا المنهج واضحا فى نص ابن شهيد السابق الذى تكلم فيه

---

(١) الاستاذ سيد قطب فى المرجع السابق قسم المناهج الى اربعة اقسام ١ ـ المنهج الفنى ٢ ـ المنهج التاريخى ٣ ـ المنهج النفسى . ٤ ـ المنهج المتكامل . (٢) الاستاذ سيد قطب ص ١٤٤

عن الاطوار المختلفة للكتابة الفنية والتى ابتدأت بعبد الحميد الكاتب كما هو معروف ثم سارت فى طرق متعددة الى ان وصلت الى ما هى عليه فى عهد ابن شهيد • وقد ذكر ابن شهيد نماذجا معروفه ومشهوره من الكتاب الراسخين فى هذا الفن والذين يختلفون فى طرق كتاباتهم عن بعضهم بعضا ـ كما وضح ذلك ابن شهيد نفسه •

ومما لا شك فيه ان هذا يدل دلالة قطعية على ثقافة هذا الناقد وسعة اطلاعه وقراءته الجاده عمن سبقه من الادباء••

ونستخلص من نص ابن شهيد السابق تقسيما محددا لمدارس الكتابة الفنية فى النثر العربى فنراه يجملها فى ثلاثة مدارس الأولى مدرسة الصنعة المقبولة وهى التى لا تكلف فيها الا ما وقع اتفاقا من غير قصد وهى التى اطلقت النثر من قيوده وتتسم بالوضوح والايجاز وجزالة الالفاظ وذكر من اصحابها عبد الحميد الكاتب وعبد الله بن المقفع وسهل بن هارون ويعدون هؤلاء • الرواد الأوائل لهذه المدرسه حسب ترتيبهم الزمنى •

والمدرسة الثانيه عبر عنها ابن شهيد برقة الطباع وخف ثقل النفوس وهى التى زهدت فى الغريب وقنعت بعفوى القريحه ووحى الساعة•(1)

اما المدرسة الثالثة فهى التى التزمت بالسجع فى اغلب الاحيان وكان

---

(1) محمد كرد على " مراد البيان " دار الامانه بيروت ط ٣ ١٣٨٨هـ ١٩٦٩ ص ٢٥٢ •

كلامهم عذبا رشيقا وصنعتهم دقيقة (١) ولطيفة كما هى الحال فى نثر بديع الزمان الهمذانى وشمس المعالى قابوس بن وشمكير.

ثم سار ابن شهيد على هذا المنهج عند حديثه عن الصنعة فى الشعر العربى فقال : " الشعراء (٢) انتقلوا عن المادة فى الصنعة بانتقال الزمان ، وطلب كل ذى عصر ما يجوز فيه ، وتهش له قلوب اهله ، فكان من صريع الغوانى وبشار وابو نواس واصحابهم فى البديع ما كان ، من استعمال أفانينه ، والزيادة فى تفريع فنونه. ثم جاء ابو تمام فأسرف فى التجنس ، وخرج عن المادة. وطاب ذلك منه ، وامتثله الناس ، فكل شعر لا يكون اليوم تجنيسا أو ما يشبهه تمجه الآذان ، والتوسط فى الأمر أعدل ، ولذلك فضل أهل البصر صريع الغوانى على ابى تمام لأنه ليس ديباجة المحدثين على لأمة العرب ، فتركب له من الحسن بينهما ما تركب. "

لكن من الملاحظ ان المنهج (٣) التاريخى لا يستقل بنفسه فلابد ان يكون فيه قسط من المنهج الفنى لأن التذوق والحكم ودراسة الخصائص الفنية ضرورية فى كل مرحلة من مراحله ولكن يجب ان نقتصد فى ذلك لئلا يفقد هذا المنهج وضعه الصحيح.

وكما ان للمنهج التاريخى محاسن فان له عيوبا واخطارا ايضا فمن اخطاره انه يغفل الاحكام الخاصه على كل شخصيه مما يجعل فيه بعض الظلم للعبقريات ... الفردية.

---

(١) زكى مبارك ج ٢ ص ٣٤٠ ، ٤٣٤ (٢) ابن بسام ١/١/٢٠٣

(٣) انظر سيد قطب ص ١٤٤.

ثالثا : علــم الجمــــال

عند ابن شهيد بعض النظرات النقديـــه الجديدة على النقد العربـــى والتى لم يقل بها اى ناقد سواه حتى هذه اللحظــة وخاصة من نقـــــاد الادب العربى من ذلك قوله : (١) " فمن كانت نفسه المستوليــة على جسمه فقـد تأتى منه فى حسن النظام ، صور رائقة من الكلام تملأ القلوب ، وتشغف النفــوس. فاذا فتشت لحسنها أصلا لم تجده ، ولجمال تركيبها اسسا لم تعرفه ، وهــــذا هو الغريب ، أن يتركب الحسن من غير الحسن ، كقول امرى القيس :

الا عــم صباحـــا ايها الطلل البالـــــــى

وقولـــه :

تنورتها من اذرعات واهلها ＊ بيثرب أدنى دارها نظر عالى

فان هذه الديباجـــة اذا تطلبت لها اصلا من غريب معنى لم تجده ، وكقـــول ابى نواس :

طرحتم من الترحال ذكرا فغمنـــا ＊ فلو قد شخصتم صبح الموت بعضنــا

ثم قال فيها :

سا شكرالى الفضل بن يحيى بن خالد ＊ هواك ، لعل الفضل يجمع بيننا

فهذا من الكلام الغث ، واللفظ الرث ، الذى لو رامه حمار الكساح لأدركه ، ولكن له من التعلق بالنفس ، والاستيلاء على القلب ما ترى . "

---

(١) ابن بســام : ١/١ ص ١٩٧ .

وكان للنقاد حول هذا النص وجهات نظر متعددة فقد سمى الدكتور زكى مبارك هذه الفكرة " طبعا " فقال (١) : " وهذا الكلام يمثل جانبا من جوانب البلاغة عند ابن شهيد : وهو جانب الطبع . ومعنى ذلك أنه يتفق لنا أن نعجب بفقرة من النثر ، أو بيت من الشعر ، بدون أن يكون لما أعجبنا به معنى غريب . "

وكأن الدكتور زكى راجع نفسه فوجد ان هذا القول لا يكفى للتوضيح فعاد ليقول (٢) : " وكل هذا جدير بالتأمل والدرس ففيه شرح لما استغلق على النقاد أزمانا كثيرة ، ألسنا نرى فى بعض الرسائل والخطب والقصائد نماذج فاتنة ، وهى مع ذلك خلو من غرائب المعانى ؟ فلنعرف الآن أن السر فى اعجابنا بأمثال تلك النماذج مرجعه الى الطبع والروح . "

وبعض النقاد فسر قول ابن شهيد على اساس انه يعد البلاغة (٣) " نوعا من الالهام ، أو شيئا من الغيبيات أو سرا من أسرار النفوس . " وان كان هذا القول صحيحا الا أنه لا يوضح الهدف الذى رمى اليه ابن شهيد من وراء هذه الاقوال .

وفى الواقع ان ابن شهيد يشير فى النص السابق الى علم الجمال ذلك العلم الذى ما زالت بعض جوانبه غامضة الى هذه اللحظه .

---

(١) الدكتور زكى مبارك ج ٢ ص ٦٧
(٢) الدكتور زكى مبارك ج ٢ ص ٦٨
(٣) الاستاذ احمد ضيف : ص ٥٥

ومن الملاحظ ان هذه النظرة خاصة بابن شهيد فهو أول ناقد استطاع أن يكون مفهوما عن هذا العلم قريبا من مفهوم علماء اوربا فى العصور الحديثه .

واذا كان الغزالى وابو حيان التوحيدى وابن سينا وغيرهم قد فهموا شيئا عن علم الجمال كما اشار الى ذلك الدكتور عز الدين اسماعيل (١) فان ابن شهيد نظر اليه من زاوية تختلف تماما عن نظرتهم فكان مجددا فى ذلك كما يقول الدكتور احسان عباس : (٢) " وهذه نظرية طريفة فى الجمال " تركيب الحسن من غير الحسن " تعد من ابتكار ابى عامر ، ولعله يعنى بها ان كل جزء على حدة ليس فيه جمال ، فاذا تركب الاجزاء شعت بجمال ناجم عن التركيب المنسجم . "

ونظرة ابن شهيد هذه قريبة جدا من نظرة الفيلسوف الالمانى " كانت " الذى يرى ان : (٣) " الجميل هو الذى يروق كل الناس . دون حاجة الى افكار عامة مجردة ، وذلك انه لا سبيل لنا الى معرفة شئ عام عالمى دون افكار تجريديه عامة تستطيع بها تقويمه ، الا الجمال . "

فاذا أردنا ان نقارن بين نظرة ابن شهيد ونظرة " كانت " نجد انهما تكادان ترميان الى هدف واحد وهو ان الجمال سر من اسرار النفس البشرية يصعب تحليله او تقييده بقواعد ثابته .

---

(١) انظر الدكتور عز الدين اسماعيل — الاسس الجماليه فى النقد العربى — دار الفكر العربى ط٣ ١٩٧٤م ص ١٢٨ — ١٧١م
(٢) الدكتور احسان عباس . تاريخ النقد الادبى عند العرب ص ٤٧٩
(٣) الدكتور محمد غنيمى هلال : ص ٣٠١

ومما يجدر ذكره ان الاستاذ يعقوب زكـى لاحظ تلك الروح الحديثه فى كـلام ابن شهيد عن الجمال يقول : " وبالرغم مما فى لغـة ابن شـهيد مـن روح عصريـة حديثة مدهشـة ، فانه هو أيضا مثل علماء علم الجمال فى العصـر الحديث لم يقترب قيد انملة من الوصول الى تحليل للغز الخالد فى عمليـة الخلق الفـنى ." (١)

ولكن الاستاذ يعقوب زكـى يقسو على علماء الجمال حين يقول انهم لـم يقربوا من تحليل علم الجمال لأن لهم جهودا لا ينكر فضلها فى هذا المضمار استطاعوا من خلالهـا ان يوضحوا أشياء كثيره كانت غامضـة .

اما قول ابن شهيد : " فهذا من الكلام الغث ، واللفظ الرث ، الـذى لو رامه حمار الكساح لأدركـه ." فلأنـه عاب فى البيت الأول القافيـه وعاب فى البيت الثانى المعنى ـ لأن الشاعر وضع الفضل بن يحيى فى موضـع لا يليق به . ولكن على اى حال فان البيتين جميلا ومقبولا ن .

وأخيرا نستطيع القول بأن ابن شهيد اشار الى نظرية فى علم الجمـال ، وان كانت ليست مبنيـة على تجارب علميـة ثابته وانما هى نتاج البصيرة النافـذه ، والذكاء الخارق . وعلى كل حـال فانا نحـى فى ابن شهيد هذه القـدرة العقليـه الفائقـه .

---

(١) الاستاذ يعقوب زكى ـ مقدمة الديوا ن ص ٧٠

رابعا : اسلوب الرجل هو الرجل

كان ابن شهيد يؤمن بأن اسلوب الاديب ومنهجه يدل على شخصيته لأن الشاعر او الكاتب فى بداية الطريق يبدأ فى التقليد وهذه مرحلة لايستغنى عنها اى شخص مهما كانت موهبته ثم بعد ذلك يستمر فى التحصيل والممارسة حتى تصبح له فى يوم من الأيام طريقته الخاصه وشخصيته المستقله التى لا يشاركه فيها غيره ويعرف بها بين الناس وهذا ما نشاهده على سبيل المثال عند : العقاد وطه حسين والمازنى وغيرهم فان امثال هؤلاء اذا عرضت اعمالهم على انسان تمكن من اساليبهم واكثر القراءة لهم فانه لا محالة يرد كل نص الى صاحبه ولو لم يذكر اسمه على ذلك النص ، وهذه تجربة قد تمر بأى شخص منا اذا سمع بيتا من الشعر يقول : كأن هذا البيت للشاعر الفلانى وهكذا مما يدل على ان هناك ارتباطا وثيقا بين النص وبين صاحبه الذى انشأه • ويروى لنا ابن شهيد فى رسالة التوابع والزوابع حوارا جرى بينه وبين تابعه ـ الجاحظ ـ فيشكو اليه ابن شهيد قلة الفصاحة والبيان عند ابناء قومه ولكن تابعة عبد الحميد الكاتب يعترض عليه قائلا :[1] " فقال الشيخ الذى الى جانبه ، وقد علمت انه صاحب عبد الحميد ونفس مرتقية الى مايكون منه : لا يغرنك منه أبا عيينه ما تكلف لك من المماثلة • ان السجع لطبعه ، وان ما اسمعك كلفة • ولو امتد به طلق الكلام ، وجرت افراسه فى ميدان البيان ، لصلى كودنه ، وكل برذنه • وما اراه الا من اللكن الذين ذكر ، والا فما للفصاحة

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠

لا تهدر ، ولا للأعرابية لا توصض ؟ فقلت فى نفسي : طبع عبد الحميد ومساقه ورب الكعبة ! "

وهذا بلا شك يدل دلالة قطعية على ان ابن شهيد كان مؤمنا بهذه الحقيقة التى ادلى فيها برايه قبل ان يأتى كل من يوفون الذى قال (١) : " ان أسلوب الرجل هو الرجل نفسه " .

وفلوبير الذى قال ان الاسلوب (٢) " طريقة الكاتب الخاصة فى رؤية الاشياء " . ففى الحقيقة أن صاحب الفضل الأول فيها هو ابن شهيد ونستطيع ان نعدها من مبتكراته لأنى لا اعلم ناقدا قبل ابن شهيد تعرض لهذه القضية لا بالتلميح ولا بالتصريح ، وهذا ليس غريبا على ابن شهيد لانه اتى بأشياء لم يعرفها اكثر النقاد كما سوف يتبين لنا فيما بعد .

يقول الاستاذ (٣) احمد ضيف فى هذا المضمار : " هذا شيء طريف فى النقد الادبى عند العرب ، وكأنه يشير الى مذهب النقاد الذين يأخذون صور الكتاب من كتاباتهم ، ويقولون ان البلاغة من نثر ونظم تدل على نفوس البلغاء وفى هذا الكلام اشارة الى مذهب علمى فى النقد " .

وفى النص السابق لابن شهيد دليل واضح على اتساع ثقافته وكثرة اطلاعه لأن معرفة منهج الاديب وتمييز طريقته لا تتم الاعن طريق القراءة الجادة التى

---

(١) الدكتور عز الدين اسماعيل : الادب وفنونه ط ٥ ١٩٧٣ دار الفكر العربى ص ٣٦ — ٣٧ .
(٢) الدكتور عز الدين اسماعيل : الادب وفنونه ص ٣٧
(٣) الاستاذ احمد ضيف ص ٥٥

تكون خصائص معينه لذلك الاديب وهذا يبطل المعتقد الذى يقول به ابن حيان فى كتاب الذخيره من أن ابن شهيد قليل الاطلاع يقول: (١) " فيقود الكلام كما يريد عن غير اقتناء للكتب ، ولا اعتناء بالطلب ولا رسوخ فى الادب فانه لم يوجد له ـ رحمه الله ـ فيما بلغنى بعد موته كتاب يستعين به على صناعته ويشحذ من طبعه الا ما لا قدر له . "

وقد تسرب الشك الى ابن حيان من خلال نص ابن شهيد الذى يقول فيه : (٢) " ويسير المطالعة من الكتب يفيدنى " ولكن ابن شهيد يقصد انه لتوقد ذكائه ودقة ملاحظته فانه يكتفى بالنظرة السريعة العابرة على اى كتاب يقرأه والا فكيف نفسر حفظه لأشعار القدماء وحديثه عن الكتاب وخوضه فى مواضيع النقد المتعددة التى لا تتيسر لقليل الثقافة . وفى الحقيقه ان جميع ما بين ايدينا عن ابن شهيد من شعر او نثر يعارض قول ابن حيان ويبطله دون ان يحتاج ذلك الى اثبات.

---

(١) ابن بسام : ١/١ ص ١٦٣
(٢) " " : ١/١ ص ٢١١

خامسا : المعارضة

يرى ابن شهيد ان المعارضه (١) نوع من التفوق وان الشاعر الذى يعارض الشعراء القدماء ويناقضهم ـ على حد تعبيره ـ شاعر مجيد وبارع يقول ابن شهيد عن عبدالرحمن بن ابى الفهد (٢) ـ احد شعراء الاندلس ـ : "غزير المادة واسع الصدر حتى انه لم يكد يبقى شعرا جاهليا ولا اسلاميا الاعارضه وناقضه ، وفى كل ذلك تراه مثل الجواد اذا استولى على الامد ، لاينى ولايقصر ، وكانت مرتبته ايام بنى عامر دون مرتبة عبادة فى الزمان ، فاعجب."

وفى الواقع ان عد المعارضة نوعا من تفوق الشاعر رأى جديد كل الجدة على تاريخ النقد الادبى عند العرب بصرف النظر عن مدى صحته اوعدمها يقول الدكتور احسان عباس (٣) : " ولأول مرة نرى ناقدا يقر مبدأ المعارضة معيارا للتفوق ،فنجد ابن شهيد ناقما على النقاد الذين كانوا يتولون ديوان الشعراء لأنهم أخروا عبد الرحمن بن ابى الفهد وقدموا عليه عبادة بن ماء السماء . "

---

(١) المعارضه الشعريه : هى ان يقلد الشاعر اللاحق شاعرا سابقا عليه او فى عصره فيختار قصيدة من قصائده لينسج على منوالها قصيدة اخرى بشرط ان تكون موافقة لها فى البحر والقافيه وفى بعض الاحيان فى الموضوع نفسه . وامثلة ذلك فى الأدب العربى كثيره مثل معارضة شوقى للبوصيرى فى نهج البرده ، ومعارضته ايضا لأبى العلاء المعرى فى القصيدة الداليه الفلسفيه ، ومعارضته للبحترى ايضا فى سينيته الى غير ذلك. الحميدي ، ص ٧٧

(٣) الدكتور احسان عباس . تاريخ النقد الادبى عند العرب. ص ٤٧٧

ولكن الحقيقة ان اى تقليد غالبا ما يكون اقل قيمة من المقلد لأن مقلد الشىء لابد ان يكون قد أعجب به غاية الاعجاب والاعجاب دلالة على الاجلال والتقدير ، بل انه فى بعض الاحيان يدل على شعور المرء بالقصور عما اعجب به. والشاعر حينما يعارض شاعرا آخر فانه يقلده أولا فى البحر والقافيه وهما من العناصر المهمة فى الشعر فنرى الشاعر المعارض لا يكلف نفسه مشقة التفكير فى اختيار البحر ولايهرع الى المعاجم والدواوين كى يقتنص بعض الكلمات المناسبه للقافيه . ثم انه قد يفيد من بعض افكار الشاعر الذى يريد ان يعارضه " . ولاشك أن المبدع له الفضل الذى لا ينكر .

ونستنتج من نص ابن شهيد السابق ايضا انه يوافق ابن سلام الجمحى فى جعل الكثرة شرطا اساسيا فى اعلاء مكانة الشاعر .

ولكن الواقع ان الكثرة بدون جودة لا تساوى شيئا لأن المقياس الحقيقى لمكانة الشعر هو اقبال الناس عليه ولايتم ذلك الا اذا كان الشعر جيدا ، وكلنا يعلم ان هناك شعراء ملأوا بشعرهم دواوين عديدة ولكن على الرغم من ذلك فان شهرتهم لا تتعدى بعض الأفراد

ومن الجدير بالذكر ان المعارضات الشعريه تثرى النقد الادبى عن طريق تلك المقارنات اللطيفه بين المعارض والمعارض باظهار المتفوق والاشاره الى المخفق . وكل ذلك يجعل لدى الناقد مادة جمة وحصيلة واسعة كى يصدر احكامه ويوضح وجهة نظره والافصاح عن رأيه فى تلك المعارضات

ﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫﻫ

سادسا : اثر الاعضاء فى تكوين الاديب

مما فطن اليه ابن شهيد فى نقده علاقة الاعضاء بالقدرة العقلية والملكة الادبية فأشار الى ان هناك علامات جسدية بارزة يحكم على ذكاء الشخص وفطنته من خلالها فقال — معرضا بالمعلمين :[1] " يدركون بالطبيعة ويقصرون بالآلة وتقصيرهم بالآلة هو من طريق العلل الداخلة من فساد الآلة القابلة للروحانية ، والخادمة لآلات الفهم ، الباعثه لرقيق الدم فى الشريانات الى القلب ، وزيادة غلظ أعصاب الدماغ ، ونقصانها عن المقدار الطبيعى . ومما يعين على ذلك بالحدس وطريق الفراسة فساد الآلة الظاهرة كفرطحة الرأس وتسفيطه ، ونتوء القمحدوة ، والتواء الشدق ، وخزر العين ، وغلظ الأنف ، وانزواء الأرنبة . "

وهذه الاحكام تتعلق بعلم النفس وعلم وظائف الاعضاء لأن التجارب العلميه اثبتت ان هناك اتصالا وثيقا بين العقل والجسم وان اى تأثير على احدهما يؤثر على الآخر يقول احد علماء النفس :[2] " يرجع الذكاء الى التكوين الجسمانى العام ، والى تكوين الغدد الصماء والجهاز العصبى بوجه خاص ، والى تكوين المخ والمراكز العصبيه العليا بوجه اخص ، ولذا يعرفه بعض العلماء بأنه " وظيفة الجهاز العصبى المركزى " فكلما قوى بناء ذلك الجهاز ، وترابطت أجزاؤه كان ذلك أدعى الى الذكاء ، ومن ثم كان الانسان أذكى انواع الحيوان ، لأنه اقواها أعصابا ، ولأن جهازه العصبى تتصل

---

(١) ابن بسام .(١/١) ص ٢٠٥ — ٢٠٦

(٢) حامد عبد القادر . دراسات فى علم النفس التعليمى " مطبعة النهضة . مصر ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧ م " ص ٣٣٠

اجزاؤه بعضها ببعض أشد اتصال . فوراثه الذكاء تأتى بطريق وراثة القوة الجسميه على العموم والقوة العصبيــة بوجــه خاص . "

ومما لاشك فيه ان الانسان اذا كانت به عاهــة من العاهات فانها تؤثـــــر على سلوكــه الاجتماعى وتزعزع ثقته فى نفسه مما يؤدى به الى الاحباط وعلى العكس من ذلك الانسان السوى الذى يقوى ثقته فى نفسه ويقدم على الاشياء بروح قابلــــة لها مما يساعد على نجاحــه فى اكثر اموره يقول الدكتور مصطفى فهمى (١) : " ان أى خلل يصيب اجهزة الطفل المختلفــة ، يؤثــر على مدى ملاءمة هذه الاجهـــزة للعمل مع بعضها من جهــة ، كما يؤثــر على مدى تدريب الطفل على التكيــف مع نفسه ، ومع العوامل الاجتماعية والثقافيــة ، والبيئيــة المختلفــة من جهـــــة اخـرى . "

وفيما يبدو ان ابن شهيد وفى لهذا المبدأ ومؤمن به اشــد الايمـــــان ، فقد عقد مقارنة لطيفــة بــين الذين لم يرزقوا الآلــه القابلة للبيان وبــــين الحمار الذى يطلب منه الضرب على الأوتار وكلنا يعلم ان هذا مستحيل . فيقــول فى ذلك (٢) : " فهم يصرفون غرائبها فيما يجرى عندهم تصريف من لم يرزق آلــــة الفهم ، ومن لم تكن له آلــة الصناعة ، مما هى مخصوصــة بها ، لا تقوم تلـــك الصناعة الابتلك الآلــة ، فهو كالحمار لا يمكنه أن يتعلم صناعة ضــــرب العود والطنبور ، لتوتــد رسغه ، واستدارة حافره ، ولاله بنان يجس بــــه

---

(١) الدكتور مصطفى فهمى . الانسان وصحته النفسيه " مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١م " ص ١٣

(٢) ابن بسـام ١/١ ص ٢٠٥

على دستبان . ولو جاز أن يكون حمار يغنى :

ما بال انجم هذا الليل حائـرة * اضلـت القصد أم ليست على فلك ؟

وشبهه ، من أجل أن له حنكا ولسانا وقصبة ورئة ، لما جاز أن يوقع بالمضـراب على الأوتار ، ويـتم بجس الأنامل ، ويرخى الوتـر فى مجرى السبابـة والبنصـر ، فيلبل بنشيده ، ويولول فى ضرابه على بسيطه . "

وفى الواقع ان هذا الكلام لم يسبق اليـه ابن شهيد من اى ناقد آخـر مما يدل على عظمة هذه العبقريـة التى لم تعط حقهـا من النقاد الذيـن تكلموا عنها . وهذا ما لاحظـه الاستاذ احمـد ضيف حين يقول (١) : " وهـل نجد بين ادباء العرب . فى النقد الادبـى هذا الطريق العلمى ؟ ان هذه لآراء ممتازة فى النقد الادبـى العربى . وطريقة علمية تشبـه ما حدث فـى الأدب عند أهل اوروبا فى القرن التاسـع عشـر . وكان هذا يكون نموذجـا للنقد الصحيح وطرقه العلمية التى تصل افكار الكاتب وآراءه بتكوينه العصبـى وتركيبه الجسمى . ولكن واحدا من الادباء الذين تكلموا عن أبى عامر ابن شهيـد لم يذكروا له غير " شعره الرقيق ، وأسلوبه الرشيق ، ومجونه الكثير وأدبه الوفير . . " الخ . ان ابن شهيد من افذاذ الادباء والمفكرين الذين أنجبتهم حركـة العقول والادراك فى الاندلس . "

ويكفينا فخـرا أن بعض نظريات ابن شهيد التى اطلقها قبل الف عـام يأتى العلم الحديث فيثبتها فى هذا القرن يقول الاستاذ يعقوب زكى (٢) : " وليـس

---

(١) الاستاذ احمد ضيف . ص ٥٩

(٢) الاستاذ يعقوب زكـى . مقدمة الديوان ص ٦٧

من شك فى أن نظرياته كانت نظريات ثورية ، متقدمة جدا عن آراء أى عصر قبل هذا القرن العشرين ."

وايما ن ابن شهيد بهذا المبدأ جعله يحط من شأن الجاحظ ويعتقد ان الذى قعد به عن المنا صب السياسة ورتبة الكتابة عند الخلفاء هو جحوظ عينيه قال : " او يكون افراط جحوظ عينيه قعد به عنها ، كما قصر بى انا فيهما ثقل سمعى ، وبابى القاسم ورم انفه اذ لابد للملك من كاتب مقبول الصورة تقع عليها عينه واذن زكيه تسمع منه حسه ، وأنف نقى لاتذم انفاسه عند مقاربته لمه"(١) وفى الواقع ان حرمان الجاحظ من المناصب السياسية لا يقلل من مكانته العلمية (٢) لا ن العالم لا يقاس بعلو مرتبته ، وانما يقاس بعلمه ومعرفته بل ان بعض العلماء يحاول ان يبتعد عن الملوك وشؤون الدولة كى ينصرف الى العلم والتحصيل . وكلام ابن شهيد هنا يعطيه " صورة غير مقبولة ، فالأدب والعلم عنده من وسائل العيش والحظوة عند الملوك ، ومقدار نجاح الكاتب فى دنياه يكون فضله ، وهذا خطأ مبين "(٣) .

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٨

(٢) مما تجدر الاشاره اليه ان ابن شهيد اتهم الجاحظ بأنه بخيل بعلمه شحيح بمعرفته فقال عن كتابه " البيا ن والتبيين " ولو كشف فيه عن وجه التعليم ، وصور كيفيه التدرج لأرى كيف وضع الكلام ، وتزيين البيان ، وكيف التوصل الى حسن الابتداء ، وتوصيل اللفظ بعد الانتهاء ، وابدى لهم عن تدبير المقاطع والمطالع ، فانها معادن الصنعة ، ومواضع مفاتح الطريقة ، ولكنه استمسك بفا ئدته ، وضن بما عنده ، غيرة على العلم ، وشحا بثمرة الفهم ، وعرف أن النفع كثير ، والشاكر قليل ، فلم يفد بما أوضح من أمر البيان فائدة غير اهله ، ومن كرع فى حوضه ، واستاف من نده ، واما ان يخرج مبتدئا أو يعلم جاهلا فلا البته . " ابن بسام ١/١ ص ١٩٨
ولاندرى على اى اساس اعتمد ابن شهيد فى حكمه هذا لأن كتاب (البيا ن والتبيين " من خيرة الكتب العربية القديمه ومن اكثرها فائدة وقد شهد له كبار العلماء والادباء بأنه مؤلف جليل ومفيد ، كذلك ان الجاحظ اشتهر بالاستطراد وهو الخروج عن موضوعه الذى يتكلم فيه الى موضوع آخر له اتصال به وفى هذا دليل على ان الرجل لم يكن بخيلا او شحيحا . ولم يقل احد بذلك الا ابن شهيد .

(٣) زكي مبارك ج٢، ص ٧٠

سابعا : هيئة الاديب

وتنبه ابن شهيد ايضا الى تأثير مظهر الاديب وشخصيته على المستمعين فقال منتقدا ابا القاسم ابن الافليلي (١) : " وهو يرى ان بعض صبياننا قد اقلقوه حين قالوا : ليست مشيته مشية اديب ، ولا وجهه وجه اريب ، ولا جلسته جلسة عالم ، ولا انفه أنف كاتب ، ولا نغمته نغمة شاعر . وحكوا أنه ، اذا مشى الخيزلى ، وتقدم قليلا ثم رجع القهقرى ، والقصبة فى يده ، والخرج على عاتقه ، احذق الناس فى اخراج لعبة اليهودى ، فأقلقوه بما يسمع ، فكيف لو عضته أنياب غير مغلولة ، وخدشته اظافر غير مقلمه ؟ " .

وهذا القول على جانب كبير من الصحة لأن الانسان اذا كان يملك شخصية قوية فان اثرها يظهر على هيئته وتصرفاته من اقوال او افعال فالشخص الذى تكون جلسته غير عاديه او مشيته ليست طبيعية يكون مثارا للضحك والاستهتار مما يجعل الاصغاء اليه قليلا احتقارا له ، وهذه اشياء نلمسها فى حياتنا اليومية التى نعيشها وتثبتها ايضا التجارب العلمية .

ويؤكد ابن شهيد ذلك الرأى ضمن حديثه عن الكاتب وما يجب ان يتوفر فيه يقول (٢) : " ان يكون طيب الرائحة ، سليم الحواس ، نقى الثوب ، ولايكون وسخ الضرس ، مقلب الشفة ، مكحل الاظفور ، وضر الطوق . "

---

(١) ابن بسام ١/١ ص ٢٠٧
(٢) " " ١/١ ص ٢٠٨

وهذه اللفتة الجميلة تعد منقبة من مناقب ابن شهيد تدل على دقة ملاحظته وثقب نظره . يقول الدكتور احمد هيكل (١) : " ومن احسن ما اثر عن ابن شهيد كذلك مما يتصل بالنقد — وان كان متعلقا بشخصية الأديب لا بعمله الأدبي — حديثه عما يجب ان تكون عليه هيئة الأديب المتصل بحكم عمله بالآخرين ووجوب كونه سليما حسن الهيئة نظيفا ، لأن عدم ذلك قد ينفر منه ويصيّ الى أدبه تهما لذلك.

وابن شهيد وان خص بهذا الكتاب المشتغلين مع الحكام ، فهو ينفع المشبهين لهم من المتصلين بالناس " .

ولكن فى الحقيقه ان هذا الرأى ليس قاعدة مطرده فى جميع الحالات فقد نرى اديبا دميما اورث الهيئة ومع ذلك يشد انظار المستمعين ببيانه وبلاغته وهذا ما قال به سهل بن هارون عندما يقول (٢) : " لو أن رجلين خطبا أو تحدثاه او احتجا أو وصفا وكان احدهما جميلا جليلا بهيا ، ولباسا نبيلا ، وذا حسب شريفا ، وكان الآخر قليلا قميئا ،وباذ الهيئة دميما ، وخامل الذكر مجهولا ثم كان كلامهما فى مقدار واحد من البلاغة ، وفى وزن واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقليل الدميم على النبيل الجسيم ، وللباذ الهيئة على ذى الهيئة ، ولشغلهم التعجب منه عن مساواة صاحبه به ، ولصار التعجب منه سببا للعجب به ، ولصار الاكثار فى شأنه علة للاكثار فى مدحه ، لأن النفوس كانت له احقر ، ومن بيانه أيأس ، ومن حسده ابعد ." ومن الملاحظ ان ابن شهيد يتكلم بلسان عصره الذى طغى فيه الاعتناء بالشكليات والاهتمام بالمظاهر كما اتضح ذلك فى زخرفة المبانى وتنميق المجالس والتفنن فى ارتداء الملابس .

---

(١) الدكتور احمد هيكل ص ٣٩٨

(٢) الجاحظ . البيان والتبيين ج ١ ص ٨٩.

الخاتمـــــــه
" استنتـــــاج وخلاصـــــة "

تبين لنا ان ابن شهيد شخصية نقدية مهمة وجديرة بالبحث والدراسة لأنـــــه من الرواد الأوائل الذين استطاعوا ان يكونوا للأندلس مناهج نقديه متميزه وان كـان لم يستطع بحال من الاحوال ان يستغنى عن آراء النقاد المشارقه بل انه خـــاض فى اكثر المواضيع التى تكلموا فيها ولكنه مع ذلك يعد ناقدا فريدا من نوعه فقـــد اطلق بعض النظريات الجديده والجديرة بالاهتمام .

وقد تناولت فى هذه الدراسة ترجمـة ابن شهيد ونقده فمهدت لذلك بحالـــة النقد الادبى فى الاندلس قبل ابن شهيد موضحا انه لم يكن هناك نقاد يستحقـون الذكر فى تلك الفترة وان النقد كان يعتمد على الذوق ويلتفت الى الجزئيـــات كالاهتمام بالنحو والصرف ووضع الكلمة فى موضعها المناسب وسرقة بعض الابيـــات الشعريه وغير ذلك . حتى جاء ابن شهيد فدرس النقد دراسة منهجية منظمـــة فكانت اقواله بمثابة الهذره الأولى للنقد الأدبى فى الاندلس وان كان الذى ضـــاع من نقد ابن شهيد اكثر بكثير مما بين ايدينا الآن بل ان مؤلفه " حانوت عطـار "(1) يعد مؤلفا نقديا بحتا .

ثم تحدثت عن حياة ابن شهيد وما لها من اثر واضح على ادبه ونقده وسلوكـــه الاجتماعى .

---

(1) راجع آثار ابن شهيد ص ٢٤ من هذه الرسالـه .

اما آثاره فقد فقد اكثرها الا ما وجد مبعثرا فى المصادر الاندلسيه القديمة التى الحدانية ان نجد بعض القضايا لم يستكمل الحديث عنها فتظل الفكره غامضة بعض الشيء .

وكان لابن شهيد مكانة علمية كبيرة فى نظر الادباء والنقاد قديما وحديثا فقد اشادوا به واكثروا الثناء عليه ولانكاد نجد كتابا من كتب النقد الادبى فى الاندلس الا وجعل ابن شهيد فى مقدمة النقاد الذين يتحدث عنهم .

وكان للشعر نصيب وافر من نقد ابن شهيد فقد حدد موقفه من قضية اللفظ والمعنى فادرك الصورة الادبية التى تعد النتيجة النهائيه لكل من اللفظ والمعنى وبين انهما يشتركان فى ابرازها وان اى تأثير على احدهما يؤثر على كمال تلك الصورة . ونوه كذلك بنظرية النظم مما يدل على انها كانت متبلورة فى ذهنه وانه كان مستوعبا لها . وبين كذلك ان المعانى لا تخدع الناقد بقدر ما تخدعه الالفاظ ونبهنا فحذره من ذلك بالاحتراس من حلاوتها والانخداع ببريقها كى تكون احكامه موضوعية وصحيحة .

كما تنبه ابن شهيد الى السرقات الشعريه وهو موضوع قديم طرقه كثير من النقاد فنصح الشاعر بالاقلاع عن سرقة المعانى التى احسن فيها قائلها لأنه لا يضمن تفوقه على ذلك القائل او المبدع ، واذا كان ولابد فعليه ان يتخذ نوعا من الحيلة والاخفاء وهو تغيير العروض حتى تختلف الموسيقى فلا تظهر السرقة . واشار كذلك الى الزيادة ومبلغ الحسن فيها مستشهدا ببعض الابيات الشعريه لشعراء من المشرق جاهليين وعباسيين مثل الافوه الاودى والنابغة الذبيانى وابى نواس

وصريع الغوانى وابى تمام والمتنبى فتحدث عن شعرهم فى الطير ومن الذى احسن منهم وبين وجه الاحسان فى ذلك .

كما تكلم ابن شهيد عن الطبع والصنعة ففهم الطبع كما فهمه الجاهليون وهو الاستعداد الفطرى دون اعادة النظر وكان يؤيد الصنعة المعتدلة التى تقبلها النفس فلا تكون خارجة عن حدود المعقول ولذلك انكر على ابى تمام اسرافه فى التجنيس وافراطه فى ذلك .

وتنبه ابن شهيد كذلك الى تأثير البيئة على الاديب واهميتها فى تكوينه الخلق واثر ذلك على انتاجه الادبى ضاربا امثلة ببعض الملوك والامراء الذين كانوا يذهبون بابنائهم الى البادية كى تحتد افئدتهم وتمتد السنتهم . وكان لابن شهيد رأى فى الحرب يختلف عن رأى ابن سلام فيها الذى قال به فى كتابه الرائد " طبقات فحول الشعراء " . وذلك أن كل واحد منهما نظر الى الحرب من زاويته الخاصه . فابن شهيد يرى انها تقضى على الادب والادباء وتقف فى وجه الحركة العلمية ولكنه يتحدث عن حربهم التى اشتعلت فى قرطبه . اما ابن سلام فانه يرى أن الشعر يكثر مع الحروب لأنه منشط لطبيعة تلك الحروب التى يتحدث عنها .

كما حدد ابن شهيد موقفه من النحو فبين انه وسيلة تؤدى الى سلامة التركيب الذى يتم به البيان فانكر على معلمى قرطبه جعلهم النحو غاية فى ذاته واهتمامهم به اهتماما انساهم الغرض الاساسى من وضعه اصلا مستشهدا ببعض اقوال الجاحظ فى ذلك المجال .

كما نوه ابن شهيد ببعض النصائح التى تفيد الناقد فى حكمه على النص الادبى بأن ينظر اولا الى الألفاظ والمعانى لأنهما الحجر الاساس لكل قصيده ثم يفتش بعد ذلك عن البديع فيكون اكثر حرصا فى اصدار الأحكام النقديه ويجب عليه ان يلتفت الى ثقافة الشاعر واقتداره على اللغة واقتناص الالفاظ .

وكان لابن شهيد موقف واضح من البيان فبين ان الموهبة الفطرية هى الاساس فيه ثم بعد ذلك تنمى وتصقل بالتدريب والمثابرة حتى تصبح قادرة على العطاء . وقسم ابن شهيد اصحاب البيان الى ثلاث طبقات : من لديه الموهبه ولكنه قصير الباع ، ومن لديه الموهبة وطول النفس ، وقليل الموهبة ولكن لديه الذكاء الذى يغطى به على ذلك النقص . وهذا التقسيم جديد كل الجدة على النقد العربى وفضله يرجع اليه .

وفطن ابن شهيد كذلك الى " مراعاة مقتضى الحال " فنظر اليه نظره نفسية اضافة الى نظرة العرب اليه بالتفريق بين المستمعين حسب قدرتهم على الفهم فبين ان البلاغة ضرب من السياسة النفسية .

وقد وقف ابن شهيد من السجع موقفا معتدلا فبين ان المستحب منه هو ما كان له موضع من القلب ومكان من النفس وهو الذى يخلو من التكلف والتعسف . اما ما يشبه سجع الكهان فهو المكروه والذى لا تقبله النفس البشرية .

وكانت عند ابن شهيد نزعة تحرريه انكر فيها على الشاعر التزامه بالمقدمة الطلليه حتى ان بعضهم ينسى الغرض الاساسى فى القصيده ويولى هذه المقدمة

جل اهتمامه • كذلك انه عبر عن وحدة العمل الادبى تعبيرا دقيقا فكان من اقرب النقاد الأوائل الى استيعاب هذه القضيه •

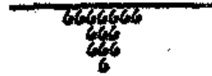
وكان ابن شهيد رائدا لبعض القضايا النقديه ومتفردا برأيه فيها • من ذلك موقفه من شياطين الشعراء والنظر اليها نظرة دعابة ومرح فقد ساوى بين الشعراء والكتاب فى ذلك بل انه اشرك معهم المشايخ والكبراء مما يدل على ان القضية عنده اخذت جانب الهزل اكثر من كونها قضيه جديه •

كما تحدث ابن شهيد عن علم الجمال فبين انه سر عن اسرار النفس الانسانيه يصعب تعليله وتقييده بقواعد معينه مستشهدا بجمال بعض القصائد واقبال النفس عليها دون ان يكون هناك تعليل بين لسر ذلك الجمال •

كما اشار الى ان اسلوب الرجل وطريقته تدل على شخصيته لأن الأديب فى بداية الطريق يكون فى مرحلة التقليد حتى يصبح له طريقته الخاصه به واسلوبه الذى يعرف به بين الناس وهذه القضيه ترددت كثيرا فى كتب النقد الاوروبى •

ورأى ابن شهيد ان المعارضة الشعريه تعد نوعا من التفوق لأن الشاعر المجيد هو الذى يعارض قصائد الشعراء السابقين ويناقضهم وهذا الرأى جديد على النقد الادبى ولم يقل به احد غير ابن شهيد ولااعتقد ان الحظ حالفه كثيرا فيه لأن المعارضه نوع من التقليد فمهما علت مكانته فهو تقليد فليس من الضروره ان يكون خيرا من الابداع •

كمـا اشار ابن شهيد الى هيئـة الاديـب وما يجب ان يكون عليـه من مظهـر حتى لا يكـون مجالا للتندر والاستهتار من المستمعين • وفطن كذلك الى علاقـة الاعضاء الجسميه بالقدرة العقلية فبـين ان هناك علامات جسدية واضحـة يعرف من خلالها مدى ذكاء الشخص وفطنته ففرطحـة الرأس وتسفيطـه والتـواء الشدق وخـزر العين وغلظ الأنف وانزواء الأرنبـه غالبا ما تدل على الغبـاء والغفلـه وقد اثبتت التجارب العلميـة شيئا من ذلك وان كان ابن شهيد لم يبـن اقوالـه هذه على اساس علمـى وانما كان نتيجـة البصيرة النافذة والذكاء الخارق •



فهرس المصادر والمراجـــع

- ابن الابار . ابو عبدالله محمد بن عبدالله القضاعى . الحلـه السيراء " القاهرة ١٩٦٣ م ط ١ " تحقيق حسين مؤنس.

- ابن الاثير . ضياء الدين ابو الفتح نصر الله محمد بن محمد بن عبدالكريم الموصلى الشافعى . المثل السائر فى ادب الكاتب والشاعر " القاهره ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م"

- د : احسان عباس

١- تاريخ الادب الاندلسى عصر سيادة قرطبه " بيروت ١٩٧٥م"

٢- تاريخ النقد الادبى عند العرب" بيروت ١٣٩١ هـ "

- د : احمد امين . النقد الادبى " بيروت ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م"

- احمد ضيف . بلاغة العرب فى الأندلس " مصر ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م".

- د : احمد هيكل . الادب الاندلسى " دار المعارف بمصر ١٩٧١م"

- الاصفهانى ابو الفرج على بن الحسين الاغانى " دار الثقافة بيروت ١٩٥٨م" تحقيق عبدالستار فراج .

- الاعشى ميمون بن قيس . الديوان " بيروت ١٩٦٦م"

- الآمدى . ابو القاسم الحسن بن بشر . الموازنه بين الطائيين " مصـــــــر ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١م "

- امرؤ القيس . ديوان امرئ القيس بن حجر " القاهره الطبعه الخامسه بدون تاريـخ " حسن السندوبى .

- الباقلانى . ابو بكر بن الطيب . اعجاز القرآن " دار المعارف بمصر ١٩٧٢م" تحقيـــق سيـد صقـر .

- د : بدوى طبانه . البيان العربى " بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م".

- بروكلمان . تاريخ الادب العربى " دار المعارف بمصر ١٩٧٥م" ترجمة د : رمضـان عبد التواب.

— ابن بسام • ابو الحسن على بن بسام الشنتريني • الذخيرة في محاسن اهـل الجزيره " القاهرة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩م "

— ابن بشكوال • ابو القاسم خلف بن عبد الملك • الصله " الدار المصريه ١٩٦٦م "

— بطرس البستاني :

١ـ رسالـة التوابع والزوابع " بيروت ١٣٨٧هـ — ١٩٦٧م "

٢ـ دائرة المعارف " طهران بدون تاريخ "

— بنت الشاطئ • عائشه عبد الرحمن • قيم جديده للادب العربي " مصر ١٩٦١م "

— الهير حبيب مطلق • الحركـه اللغويـة في الاندلس " بيروت ١٩٦٧م "

— ابو تمام • حبيب بن اوس • الديوان بشرح التبريزي " دار المعارف بمصـــر ١٩٧٠م " تحقيق : محمد عبده عزام •

— الثعالبي • ابو منصور عبد الملك بن محمد • نتيجة الدهر " مصر ١٣٧٥هـ — ١٩٥٦م " تحقيق : محي الدين عبد الحميـد •

— الجاحظ • ابو عثمان عمرو بن بحر

١ـ البيان والتبيين " مصر ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م " تحقيق : عبد السـلام هارون •

٢ـ الحيوان " القاهره ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥م " تحقيق : عبد السلام هارون •

— الجرجاني • عبد القاهر

١ـ اسرار البلاغه " مصر ١٣٤٤هـ "

٢ـ دلائل الاعجاز " مصر ١٣٦٧هـ "

— ابن جرير الطبري : تاريخ الطبري ، دار المعارف ١٩٧١م تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم

— د : جودت الركابي في الادب الاندلسي " دار المعارف بمصر ١٩٧٠م "

— حاجي خليفه • كشف الظنون " بغداد بدون تاريخ •

— حامد عبد القادر • دراسات في علم النفس التعليمي " مصر ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٧م "

— ابن حزم • ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم

١ـ طوق الحمامة " مصر ١٣٨٦ هـ — ١٩٦٧م " تحقيق الاستاذ حسن كامـل صرفـي •

٢ـ الفصل فى الملل والاهواء والنحل " المطبعة الادبيــة ١٣٢٠ هـ "

ـ حسان بن ثابت ٠ الديوان " بيروت ١٩٧٤ م " تحقيق د : وليد عرفات ٠

ـ د : حسين عطوان ٠ مقدمة القصيدة العربيه " دار المعارف بمصر ١٩٧٤م "

ـ الحميدى ٠ ابوعبدالله محمد بن ابى نصر فتوح بن عبدالله الازدى ٠ جــذوة المقتبس " مصر ١٩٦٦م "

ـ ابن حيان القرطبى ٠ ابو مروان حيان بن خلف بن حيان : المقتبس " بيــروت ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م " تحقيق د : محمود على مكى ٠

ـ الحميرى ٠ ابو الوليد اسماعيل بن عامر ٠ البديع فى وصف الربيع " الرباط ١٩٤٠م ـ ١٣٥٩هـ "

ـ ابن خاقان ٠ ابو نصر الفتح بن خاقان بن محمد ٠ مطمح الانفس " قسطنطينيه ـ ١٣٠٢ هـ "

ـ ابن خلدون ٠ عبدالرحمن بن محمد

١ـ كتاب العبر وديوان المبتدأ أو الخبر " لبنان ١٩٥٨ م "

٢ـ مقدمة ابن خلدون " بيروت الطبعة الرابعة بدون تاريخ "

ـ ابن خلكان ٠ شمس الدين احمد بن ابراهيم ٠ وفيات الاعيان " مطبعة السعـادة ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م " تحقيق محى الدين عبدالحميد ٠

ـ ابو داود ٠ سنن ابى داود " مصر ١٣٧١ هـ ـ ١٩٥١م " ٠

ـ ابن دحيه ٠ ابو الخطاب عمر بن حسن ٠ المطرب من اشعار اهل المغرب " بيروت ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م " تحقيق ابراهيم الابيارى ٠ د : حامد عبدالمجيــد ٠ د : احمد احمد بدوى ٠

ـ الرازى ٠ محمد بن ابى بكر بن عبدالقادر " مختار الصحاح " السعوديه الطائـف ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧١م "

ـ الزبيدى ٠ ابو بكر محمد بن الحسن ٠ طبقات النحويين واللغويين " القاهرة ١٩٥٤ " تحقيق محمد ابو الفضــل ابراهيم ٠

ـ الزركلى ، خير الدين ، الاعلام " بيروت ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩ م "

ـ د : زكى مبارك ، النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى " بيروت ١٩٧٥م "

ـ ابن سعيد ، على بن موسى بن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب " دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م " تحقيق د : شوقى ضيف .

ـ ابن سلام ، محمد بن سلام الجمحى ، طبقات فحول الشعراء " القاهرة ١٩٧٤م " تحقيق محمود شاكر . ـ سيد قطب ، النقد الادبى " بيروت بدون تاريخ .

ـ شارل بلات ، ديوان ابن شهيد " جمع " " بيروت ١٩٦٣ م " .

ـ شكيب ارسلان ، الحلل السندسيه " بيروت ١٣٥٨ هـ "

ـ د : شوقى ضيف

١ـ ابن زيدون " دار المعارف بمصر الطبعه الثالثه "

٢ـ البلاغه تطور وتاريخ "دار المعارف بمصر الطبعة الثانيه "

٣ـ العصر الجاهلى " دار المعارف بمصر ١٩٦١ م ("

٤ـ العصر العباسى " دار المعارف بمصر ١٩٦٥م "

٥ـ الفن ومذاهبه فى النثر العربى " دار المعارف بمصر . "

ـ صريع الغوانى ، مسلم بن الوليد ، الديوان " دار المعارف بمصر ١٩٧٠م " تحقيق د : سامى الدهان .

ـ الصفدى ، صلاح الدين خليل بن ايبك ـ الوافى بالوفيات " بيروت بدون تاريخ " تحقيق ابراهيم الابيارى وغيره .

ـ الضبى ، احمد بن يحى بن احمد بن عميرة الضبى ، بغية الملتمس فى تاريخ رجال اهل الاندلس " مدريد ١٨٨٤م " .

ـ ابن طباطبا ، ابو الحسن محمد بن أحمد العلوى ، عيار الشعر " القاهرة ١٩٥٦م "

ـ طرفه بن العبد ، الديوان " بيروت ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١م " .

ـ د : طه حسين ، حديث الاربعاء " دار المعارف بمصر ١٩٧٤م ط ١١ "

ـ عبد الرحمن الباشا . على بن الجهم حياته وشعره " دار المعارف بمصر "
ـ عبد الواحد المراكشى . المعجب فى تلخيص أخبار المغرب " القاهرة ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م " تحقيق . الاستاذ محمد سعيد العريان .
ـ ابن عذارى المراكشى . البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب " دار الثقافه بيروت " تحقيق ج . س . كولان و ا . ليفى بروفنسال
ـ د : عز الدين اسماعيل .
١ ـ الادب وفنونه " دار الفكر العربى ١٩٧٣م "
٢ ـ الاسس الجمالية فى النقد العربى " دار الفكر العربى ١٩٧٤م "
ـ العسكرى . ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ـ الصناعتين " مصر ـ تحقيق على محمد البجاوى ومحمد ابو الفضل ابراهيم .
ـ العقاد . عباس محمود . ابو نواس الحسن بن هانئ مطبعة الرسالة .
ـ عمر بن ابى ربيعة . الديوان " بيروت ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦م "
ـ على بن ظافر الازدى . بدائع البداهة " القاهرة ١٩٧٠م " تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .
ـ القاضى الجرجانى . على بن عبد العزيز . الوساطه بين المتنبى وخصومه " مصر ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥١م "
ـ ابن قتيبه . عبد الله بن مسلم الشعر والشعراء " مصر ١٩٦٦م "
ـ القرشى . ابو زيد محمد بن ابى الخطاب . جمهرة اشعار العرب " دار نهضة مصر . القاهره الطبعة الاولى " تحقيق . على محمد البجاوى .
ـ القيروانى . ابو على الحسن بن رشيق . العمده " مصر ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥م " تحقيق محى الدين عبد الحميد .
ـ كثير عزه بن عبد الرحمن . الديوان " بيروت ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م " جمعه وشرحه د : احسان عباس .
ـ الكلاعى . ابو القاسم محمد بن عبد الغفور الاشبيلى . احكام صنعة الكلام " بيروت ١٩٦٦م " تحقيق د : محمد رضوان الدايه .

- لا فى بروفنصال . صفة جزيرة الاندلس منتخبه من الروض المعطار للحميرى " القاهرة ١٩٣٧م".
- المتنبى . احمد بن الحسين . الديوان شرح البرقوقى " دار الكتاب العربى بيروت بدون تاريخ .
- د : محمد حسين عبدالله . مقدمة في النقد الادبى " الكويت ١٣٩٥هـ ٧٥م"
- د : محمد رضوان الدايه تاريخ النقد الادبى فى الاندلس" بيروت ١٣٨٨هـ — ١٩٦٨م".
- محمد عبدالله عنان
  ١- الآثار الاندلسيه الباقية " مصر ١٣٨١ — ١٩٦١ م".
  ٢- دولة الاسلام فى الأندلس " القاهره ١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م".
- د : محمد عبدالمنعم خفاجى
  ١- الحياة الأدبية " طبع سنة ١٩٤٩ م"
  ٢- قصة الأدب فى الاندلس " بيروت ١٩٦٢م"
- محمد كرد على . امراء البيان " بيروت ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٩م".
- د : محمد مندور " النقد المنهجى عند العرب " نهضة مصر القاهرة ١٩٧٢م"
- محى الدين بن العربى " محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار " مصر ١٣٢٤هـ"
- المرزبانى . ابو عبدالله محمد بن عمران " الموشح " دار نهضة مصر ١٩٦٥م" تحقيق على محمد البجاوى .
- المرزوقى . ابو على احمد بن محمد بن الحسن . شرح ديوان الحماسة " ١٣٧١ هـ — ١٩٥١م"
- د : مصطفى فهمى . الانسان وصحته النفسيه " الانجلو المصريه ١٩٧١م"
- المقرى . احمد بن محمد . نفح الطيب " بيروت ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م " تحقيق : احسان عباس.
- ابن منظور . ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم . لسان العرب " الدار المصريه للتأليف بدون تاريخ .

— النابغـــه • زياد بن معاويه الذبياني • الديوان " دار الفكر ١٣٨٨ هـ — ١٩٦٨ م " تحقيق شكرى فيصل •

— ابو نواس• الحسن بن هانئ• الديوان " دار الكتاب العربى بيروت بدون تاريخ " تحقيق احمد عبدالمجيـد الغزالى •

— د : هلال • محمد غنيمى • النقد الأدبى الحديث " مصر ١٩٧١م "

— ياقوت الحموى — ياقوت بن عبدالله الرومـى الحموى •

١— معجـم البلدان " بيـروت ١٣٧٦هـ — ١٩٥٧ م "

٢— معجـم الأدباء " عيسى البابى الحلبى مصر بدون تاريخ • "

— يعقوب زكـى • ديوان ابن شهيد " دار الكتاب العربى " القاهره بدون تاريخ •

———

"""

" تصويبـــــات "

الصفحة	السطر		الخطأ	الصواب
٣	١٣		ابن	بـن
٨	٩		أتشور	أتتسور
١٠	٧		تفشى	تفشى
١٢	٧		موضوع	موضع
١٤	٢		ابن رزاح	بن رزاح
١٥	٦	هامش	يتيحة	يتيمة
٢٤	١٢		روجها	ووجها
٢٩	٧		تاور	تساور
٣١	١٠		جميمه	خميمه
٣٢	٨	هامش	قلبنا	قبلنا
٥٠	١	[illegible]	مرثيه	مرثية
٥٤	٣		جزم	حزم
٦٠	٨		حول	قبل
٦٧	٣		مبينيا	مبنيا
٦٧	٧		الدنوع	الدموع
٦٩	١		احسان	حسان
٧١	١٣		ساء	أساء
٧٢	٧		عقدا	عقد
٨٢	١٣		آخيا	آخى
٨٣	٣		للنسى	للمسى
٨٥	١٤		المخنل	الممل
٩٧	٢	الهامش	تماونهم	تهاونهم
٩٧	٢	" "	فضيمهم	فصنيعهم
١٠٧	٧		يحفون	يحنون
١٠٨	٧		يكلل	يكل
١١١	٤		تدفنن	تدفن
١١٣	٤		استحالة	استمالة
١٢٠	٣		الطلبلية	الطللية
١٢١	١٥		الحبربة	المحبوبة

تابع .. تصويبات ...

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢٧	٤	الشيحبان	الشيصبان
١٢٧	٨	الشيمبا	الشيصبان
١٣٠	٤	احسن	احن
١٤١	٨	يوضموا	يوضحوا
١٤١	١٢	جميلا	جميلان
١٥٤	٢	النى	الذى
١٥٨	٤	ففرضحة	ففرطحة
١٦٣	٨	الجميلة	الجمالية